القرصان
t.me/qurssan

رواية

المجموعة "أ"

هبة أحمد حسب

عنوان الكتاب: المجموعة "أ"
المؤلفة: هبة أحمد حسب

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف: -28432157 02 002

facebook/almahrosacenter
twiter: @almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
e.mail: info@mahrousaeg.com
e.mail: mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٥٢٧٦/ ٢٠١٨
الترقيم الدولي: 978-977-313-752-6
جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة لمركز المحروسة
2019

t.me/qurssan

رواية

المجموعة "أ"

هبة أحمد حسب

طبعة المحروسة 2019

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

حسب، هبة أحمد

المجموعة "أ": رواية/ هبة أحمد حسب.-

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2018

210ص؛ 13.5×19.5سم.

تدمك 6-752-313-977-978

1 - القصص العربية

أ- العنوان

813

رقم الإيداع ٢٠١٨/٢٥٢٧٦

t.me/qurssan

إهداء

إلى أحمد.. طاقةِ نورِ الأمس وامتداد وجود الأبد

إلى الحسن.. رابطة وثَّقت ما هو كائن وخلقت ما لم يكن بَعدُ

إلى خديجة.. نورِ عينيّ حين أغمض، ونبضِ قلبي حين أموت

t.me/qurssan

تنويه هام

شـخصيات المجموعــة "أ" حقيقيــة، تعيــش معنــا وحولنــا. أي تنــاص بــين شــخوص الروايــة أو أحداثهــا وبــين أشــخاص موجوديــن مــن حولــك أو في دائرتــك، إنمــا هــو مــن قبيــل المصادفــة القدريــة.

المهــم ألا يكــون التنــاص مــع حياتــك أنــت، وألا تجــد نفســك داخــل أحــد هــؤلاء الشــخوص، وإلا فلــن أعــدك بنهايــة مختلفــة عــن النهايــات المطروحــة هنــا.

هبة

t.me/qurssan

جمال برينط (31 مايو 2016)

رائحة البخور تتصاعد من غرفة إسماعيل على غير العادة. لم أستيقظ يومًا على هذه الرائحة الفجَّة مذ سكنتُ معه قبل عشرين سنة. أرى الضوء الخافت يتسلل من تحت عقب بابه الموصد وتنساب معه أبخرة الدخان. اقتربت من الباب ونقرته ثلاثًا كما أفعل كل صباح، ولكنه اليوم لم يفتح، نقرته ثانية ولم يفتح. ظننته يُصلِّي. ذهبت لإحضار الإفطار وعدتُ لأنقر الباب للمرة الثالثة ولكنه لم يفتح أيضًا.

خالجني شعور بالقلق، فلربما هو يعاقب أحد أفراد المجموعة، وينوي أن يعتزل في غرفته لعدة أيام -كما يفعل من حينٍ إلى آخر- فأردتُ أن أقطع عزلته، فلكم يحب هو همهماتي وإشاراتي التي تجعله يضحك منِّي، ويناديني بجملته المحببة: "أخرس بس رغاي!".

فتحتُ الغرفة برفق، فإذا به مستلقٍ على سريره يولي ظهره ناحية الباب، توجهتُ إلى الناحية الأخرى من السرير كي أرى عينيه إن كان نائمًا أو مستيقظًا. كان يرتدي جلباب النوم الأبيض وعيناه جاحظتان، وذلك السكين الأزرق الكبير مغروسٌ في قلبه حتى آخر النصل، وصدر الجلباب وبطنه تلونا باللون الأحمر.

لم أدرِ ما أفعل. درتُ حول نفسي في المكان، لا أعرف عمَّ كنتُ أبحث. هل كنتُ سأجد القاتل مثلًا مختبئًا هنا أو هناك!؟ لا أعرف. لكنني كنتُ مرتبكًا وخائفًا وترتعد فرائصي. كان الأسد الهائج راقدًا و"تتفنجل" عيناه وينظر إلي أنا تحديدًا. لا لا، بل أنا الذي وقفت في اتجاه نظرته الثابتة. كان كل شيء في الغرفة في مكانه تمامًا، لا أثر لأي هرج أو مرج.

خرجتُ من الغرفة تسبقني قدماي، أدور أمام غرف أفراد المجموعة كلهم، أصيح بأعلى ما تمتلك حنجرتي. خرجوا جميعًا فزعين لا يفهمون من همهماتي شيئًا، فلقد تعطّلت أصابعي عن الإشارة، فقط أصيح وأصرخ و"أتنطط" فوق الأرض وألطمُ خدي، والجميع يقفون مذهولين يتفحصونني وينظرون إلى بعضهم البعض، في محاولة يائسة لاستنتاج ما أقصد.

شددتُ أحدهم من يديه، لا أذكر مَن كان منهم بالضبط، لكنه سار معي في استسلام، وتبعنا الباقون جميعًا... هرولنا معًا إلى حيث أدلّهم. وقفتُ بباب الغرفة لا أتقدم خطوة، مُشيرًا إلى الداخل وأنا ألطم خدي وأصرخ، والجميع ينظرون إلى حيث أشير، حتى دخلوا جميعًا معًا، وقرروا أن يفهموا بأنفسهم ما لا يستطيعون قراءته من حركاتي السريعة المولولة.

t.me/qurssan

ما هي إلا ثوانٍ حتى انطلقت صرخات البنات، وعلا صوتهن وتداخلت في أذني كلمات الرجال، ورأيتهم بطرف عيني يقلبون جسد الرجل يمينًا ويسارًا، بينما مسكت الفتيات بأيدي بعضهن البعض، وانسحبن إلى ركنٍ خلفيٍّ بالغرفة يراقبن الجثة عن بُعد.

قبل أن أنجذب إلى دائرة المجال المغناطيسي لإسماعيل الصعيدي، كان أهلي وأقربائي في القرية ينادونني باسمي القديم، الذي لم يكن لي غيره "جمال الأخرس ابن الحاج صلاح". كنتُ الطفل الأشطر والأقرب إلى قلب أبي، ولم تكن أمي تتوقع حين اكتشفت عاهتي، أن يأتي اليوم الذي أدخل فيه الكُتَّاب وأحفظ القرآن، بل وأتعلم الكتابة أيضًا. كان ذلك الفضل لأبي الذي باع السبعة القراريط ليشتري لي سمَّاعة نصف عُمر "استلقطها لي" ابن عمه الذي يعيش في الإسكندرية، وكانت فرحة لا توصف، حين زارنا ابن عم والدي في البلد، وأحضر معه السمَّاعة ووضعها الطبيب في أذني. كان أول ما سمعتُ بكاء أمي ونداءها كي تختبر هل أسمعها أم لا. سقطت على ركبتيها في حركة واحدة واضعةً كفيها فوق وجهها وهي تبكي، ثم مدَّت ذراعيها نحوي وخطفتني وهي مغمضة العينين، وأنا بعدُ صغير لا أفهم لماذا هي حزينة! لأنني أخيرًا أسمع صوتها؟!

كان أبي يُجلسني معه ومع أصدقائه كثيرًا. كان يقول لي "لا تفوِّت دقيقة من عمرك يا ولدي متسمعش فيها صوت. نعمة ربنا كان واخدها ورجع حباهالك، يبقى تحطها فوق راسك". كان يضع الراديو الوحيد "إللي حيلتنا في الدار" بجواري وأنا

نائم كي لا تفوت ساعات نومي دون أن أسمع شيئًا. أصبحتُ أحبُّ الاستماع إلى الأشياء، وأحب كوني أبكم أو أخرس كما ينادونني. أصبح الكلام شيئًا بغيضًا لكثرة ما سمعتُ البغض من الآخرين. ولأنني كنتُ سريع الالتقاط والفهم وسريع التعبير بالإشارة، أسماني إسماعيل "بربنط".

أعرفُ إسماعيل قبل أن يخشوشن صوت همهماتي، وتلتف العضلات على ذراعي. بالكاد كانت الشعيرات الدقيقة الرقيقة تتناثر بغير هدى فوق فمي وعلى خدي. عشتُ معه إلى أن تناثرت الشعيرات البيضاء في مقدمة رأسي أيضًا بغير هدى. أعرفه منذ كان ابنًا ذكرًا وحيدًا وسط خمس من الأخوات تكبرنه في السن، وكان له أخٌ شقيق وحيد مات مقتولًا قبل أن يولد إسماعيل، غير أن له ثلاثة من الإخوة الذكور من زوجة أبيه، وهو ما جعلها المفضلة والمدللة لدى أبيه، هي وأبناءها!

عندما ولِد إسماعيل أصرَّ والده الشيخ عبد القادر أن يسميه باسم أخيه المتوفى، أو بالأحرى أخيه المقتول. كانت عائلتهم كلها حزينة على مقتل الصبي الصغير، ولم تعرف الحكومة من قتله ولا فيمَ قُتِل. وذهبت التأويلات إلى أن إحدى العائلات كان لها ثأرٌ عند والده وأخذته من الصبي الصغير، أو ربما استخدمه أحد المنقبين عن الآثار كقربان يفتح به مقبرة، أو أن قتله شخص ما بالخطأ وخاف من الثأر، فتركه في عرض الطريق وجرى. المهم أن لا حقيقة ظهرت في الأمر. وكرهت "فتحية" أم إسماعيل أن تجعل ولدها الجديد يحمل اسم أخيه الميِّت، خشية أن يحمل مصيره وقدره مع الاسم، وأن يُقتل

t.me/qurssan

مثلـه. وهـا هـو ابنـك الثـاني أيضًـا راقـدٌ في دمائـه مقتـولًا يـا أم الإســماعيلين.

لم يكـن إسـماعيل مرفهًـا في طفولتـه. راتـب الشـيخ عبـد القـادر كإمـام مسـجد في وزارة الأوقـاف، لم يكـن يكفـي الإنفـاق عـلى بيتـين يكـبر بهـما البنـون والبنـات، بينـما تتناحـر الزوجتـان عـلى مرتـب الشـيخ العجـوز الضعيـف. كان والـده يزيـد دخلـه مـن قـراءة القـرآن فـوق المقابـر وفي مناسـبات الوفـاة والعـزاء. وذلـك الدخـل الإضـافي لا يتعـدى كونـه عـدة أرغفـة عيـش شـمسي أو "سُرة بيـض"، ثـم يتسـلل الشـيخ بالغَلَّـة خِلسَـة إلى بيـت الزوجـة الثانيـة، حيـث أولاده الذكـور. وفي الوقـت الـذي كانـت أم إسـماعيل تبـكي قسـوة زوجهـا، وتقسـم رغيـف الخبـز الواحـد بـين أبنائهـا السـتة، كان إسـماعيل يتركهـن جميعًـا، ويذهـب إلى زوجـة أبيـه يـأكل في بيتهـا حتـى يشـبع، ويـشرب كوبًـا كبـيرًا مـن الشـاي، ثـم يذهـب إلى مقهـى "عـزوز"، يجلـس عـلى الرصيـف المقابـل لتلفزيـون المقهـى، يشـاهد الأفـلام، ثـم يعـود إلى بيتـه بعدمـا ينـام الجميـع.

طالمـا نمنـا معًـا في بيتــه، تحــت ذلــك الســقف "المعــروش" بفـروع الخشـب، والمُغطـى بطبقـات المشـمع الشـفاف، كي يمنـع دفقـات المطـر التـي تُغـرق الكنبـة التـي ينـام فوقهـا. كان يلـف بيـوت القريـة يبحـث عـن صديـق أو قريـب أو شـخص "معرفـة"، يسـتضيفه للمبيـت عنـده ليلـة أو ليلتـين، حتـى تجـف مَرتَبـة الكنبـة، وفي النهايـة تضغـط "فتحيـة" الأم الصعيديـة عـلى إحـدى بناتهـا، كي تتنـازل عـن كنبتهـا لأخيهـا، فتسـتجيب الفتـاة، ولا تجـد أمامهـا إلا النـوم عـلى الأرض.

"الفشخرة والمنظرة" بما لا يملك هما الصفتان الغالبتان في إسماعيل. حين كان يقابلني في الأرض "الخرابة" وقت لعب الكرة، ويقول إنه أكل "فرخ حمام" على الغداء، أعرف تلقائيًّا أن نصيبه من هذا الحمام لم يتعدَّ ربع حمامة أو أقل. ولم يكن هذا ظنًّا ولا تنبؤًا. سمعتُ أمه ذات مرة في إحدى زياراتها لأمي، تشكي ضيقَ ذاتِ اليد، وتحكي بتلقائيتها المعروفة عنها، أنها تقسم اللقمة بين أبنائها حتى وإن لم ينلها هي شيءٌ، حتى الحمامة لا ينفرد بها أحد، تقسمها بينهم جميعًا.

توطَّدت علاقتنا على غير عمدٍ من أحدنا، ربما لأنني كنتُ أسمع ما يريد أن يقوله عن نفسه دون أخذٍ وجذبٍ وجدل. لكنه "أخذ مني جانبًا" قبل أن يتم نقله من عمله في الأقصر إلى القاهرة. وحين قرر الانتقال، فوجئتُ به يعرض علي الحياة معه في المدينة حيث السموات المفتوحات والطرقات الساهرة الملأى بالناس، وحيث لا يعرف أحدٌ عن أحدٍ شيئًا. ومن ثَمَّ ألحقني بهذه المجموعة وأسماني "بربنط". كان الاسم يثير سخرية كل من يسمعه للمرة الأولى، ثم يُحرج من سخريته بعد ذلك ويكتم ضحكاته بعيدًا عن نظري، لكنها لم تكن أبدًا بعيدة عن سمعي. وبعد فترة يصبح الأمر اعتياديًّا لهم وينادونني "بربنط" دون سخرية ولا حرج ولا تحسس، وهكذا مع كل زائر جديد ينضم إلى المجموعة.

الوحيد الذي كان مُصرًّا على الضحك من إشاراتي وهمهماتي، هو إسماعيل نفسه، الذي كثيراً ما أَضْحَكَهم علي في جلسات

t.me/qurssan

انبساطه غير المتحفظة، كانت تلك الجلسات نادرًا ما تحدث، بينما كان يغلب الغم والجد والتدريب على معظم الأيام.

بعد أن هدأ أفراد المجموعة من ارتباك الصدمة، أشعلوا مزيدًا من البخور في الغرفة المذكورة، وأغلقوا الباب على الجسد الممدد بلا حراك. جلسوا يحتسون شايًا وقهوة ويُفكرون فيما يفعلون. كيف يهنئون بالسجائر والقهوة, وخلفهم على بعد خطوات قتيل لا تزال دماؤه ساخنة!؟ لكنه هو الذي زرع ذلك البرود وهو الآن يجنيه. كان أول دروسه لهم تدريبات قاسية على هدوء الأعصاب والثبات وعدم الانفعال، تدريبات على ترتيب التفكير والخطوات، تنطلق في فلسفتها من أن الكارثة إذا كانت قد حدثت بالفعل، فلن يفيد التوتر في شيء، وإن لم تحدث، فلن يمنعها الانفعال، بل ربما يسيطر عليها التركيز والتخطيط.

تشاوروا كثيرًا واختلفوا واتفقوا واختلفوا وعلت أصواتهم، ثم صمتوا لفترة. قاموا من مجلسهم وقد سلّموا على بعضهم البعض، ودخل كلٌّ منهم إلى غرفته، وخرج بعد قليل وفي يده حقيبة ملابسه وأغراضه، ثم خرجوا من باب الڤيلا واحدًا تلو الآخر.

لم يلتفتوا إلي، لم يودِّعني أحدهم ولو بنظرة. بالتأكيد هم لا يستطيعون إبلاغ الشرطة، فماذا سيقولون عن العلاقة التي تجمعهم بالرجل!؟ كيف سيشرحون سبب وجودهم ومعيشتهم في الڤيلا!؟ لم أغضب من هروبهم بهذا الهدوء الذي يخفي تحته نيرانًا متأججة، لكنني فقط أتساءل: ألم يتذكر أحدهم أنني

أسكن معهم نفس البيت وعاشرت معهم نفس الرجل، وربما أكون متورطًا في العثور على الجثة بقدر تورطهم!؟ أسيتركونني معها وحدي!؟ لا معنى للتساؤل وقد خرج آخرهم وأغلقوا الباب خلفهم.

أصبحت أنا وهو وحيدين في المكان. كلانا يرتدي ذلك الجلباب الصعيدي الأبيض "رمش العين"، غير أن جلبابه يحمل بقعة حمراء كبيرة، أحمد الله على أن جلبابي لا يحملها. لا أستطيع التفكير ورائحة الدم المختلطة بالبخور تفوح من الغرفة. غير أني صرتُ الآن أحمل مسئولية البحث عن القاتل قبل أن أتصل بالشرطة، مسئولية العِشرة والقرية الواحدة ومئات الأرغفة "الحاف" اقتسمناها معًا أيام الجوع، مئات قطع البيض المسلوق التي كانت أمه تقسمها بيننا. ولكي أخرج من تأثير الدم والقتل وأفكِّر بشيء من العقلانية، لا بد أن أُحمِّم هذا الرجل، حتى أتمكن من النظر إليه على الأقل.

بالطبع لا أستطيع أن أحمل رجلًا يزيد عن 95 كيلوجرام، لا سيَّما رجلًا مقتولًا. أحضرت طبق الماء والصابون إلى الغرفة وأمسكت بالمقص وأصابعي تهتز داخل فتحتيه، ثم شققت الجلباب حول السكين كي لا أضطر إلى إخراجه من الجسد، حتى أتصل بالشرطة. كيف لم ألحظ يومًا أن كفوف يديه وقدميه ضخمة إلى هذه الدرجة!؟ وأن رأسه كبير كرأس ثور وشفتيه متدليتين ككلب بيتبول؟ غسلتُ الجسد كاملًا من لزوجة الدماء، وعطَّرته بالمسك كما كان يفعل بعد الحمام، وألبسته جلبابًا نظيفًا. رائحة البخور في الغرفة تطغى على رائحة القاتل،

t.me/qurssan

فـلا أسـتطيع أن أتتبـع رائحـة بعينهـا. أنـا أعرفهـم جميعًـا وأميِّـز روائحهـم، رائحـة عـرق كل منهـم، ورائحـة عطـره المحبـب وعطـره غـير المحبـب، بـل ونـوع البخـور المفضـل لديـه. والغريـب أن هـذا البخـور المشـتعل في الغرفـة، هـو المفضـل لإسـماعيل نفسـه. هـل يكـون أشـعله قبـل أن ينقـض عليـه القاتـل؟

بحثـتُ في غـرف الشـباب والبنـات، لم أجـد شـيئًا، حتـى ناديـا زوجـة إسـماعيل لم تَبِـت ليلتهـا في الڤيـلا، مـات أبوهـا منـذ يومـين ولم تعُـد مـن ليـالي العـزاء بعـد. جميـع الغـرف تخلـو مـن أيـة إشـارة تـدل عـلى نيـة أحدهـم في القتـل، ولم يتبـقَ إلا غرفتـه هـو شـخصيًّا. هـل يكـون القاتـل قـد تـرك -هنـا- شـيئًا يـدل عليـه!؟

الغرفـة مُرتبـة بعنايـة تضاهـي العاديـة أو تـكاد تزيـد، كل شيء في مكانـه؛ الملابـس، الأوراق، دولاب العطـور، رف الأفـلام والكتـب. إذا تكلمـت هـذه الغرفـة، سـتجزم بـأن غريبًـا لم يطأهـا قـط. الخائـن مـن هنـا، مـن بيننـا.

إسـماعيل يحتفـظ بـالأوراق الهامـة والأشـياء الثمينـة في درفـة الكومودينـو التـي عـن يمـين سريـره، حتـى هـذه الدرفـة لم تنقـص خردلـة مـن ميـزان، ولكنهـا زادت! نعـم أنـا طالمـا فتحتُهـا ورتَّبتهـا بأمـرٍ منـه، وأعـرف عـن ظهـر قلـب عـدد الملفـات والدوسـيهات بداخلهـا. هـذه "الأچنـدات" جديـدة ولم تكـن هنـا قبـل أسـابيع.

الأچنـدات مختلفـة الروائـح، يبـدو أنهـا لأفـراد المجموعـة. كل أجنـدة تخـص واحـدًا منهـم. إنهـا أچنـدات مذكـرات! كانـوا يكتبـون مذكراتهـم، ويبـدو أن إسـماعيل علـم بالأمـر وجمـع منهـم المذكـرات، أو لعلـه سرقهـا مـن غرفهـم. فمـن يمكـن أن يمنعـه مـن

أن يأخذ ما يريد من غرفة أيِّهم!؟ المكان مكانه والمُلك مُلكُه، البشر قبل الأثاث.

خطوطهم مختلفة، لكنهم يكتبون بنفس الأداء. أحيانًا تكون الخطوط مستوية وهادئة ومنمَّقة، وأحيانًا مرتبكة ومتشابكة تتقافز فوق الأسطر، كأن صاحبها يسارع القلم كي يتقيأ ما بداخله أمامه على الورق. وإذا صدق حدسي، فإن هذه الأوراق ستحمل في طياتها ألغازًا وأسرارًا، ربما تفكُّ هذا اللغز المُتكوِّم فوق سريره مشقوق القلب...

t.me/qurssan

علي صابر (16 يناير 2014)

مطـرٌ يمـلأ السـماء والأرض ومـا بينهـما، أجسـاد تهـرول إلى المنـازل ومحطـات المـترو وبوابـات العـمارات ومداخـل المحـلات، لا تـدرك الآذان إلا وقـع قطـرات المـاء عـلى الأرض، أو صـوت الخطوات المنغمسـة في بـرك الميـاه المتجمعـة بامتـداد الشـوارع. وكنـت أنـا لا أزال أقـف منتظـرًا الشـخص الـذي يبـدو دائمًـا كأنـه لـن يـأتي ثـم يظهـر بعـد نفـاد الصـبر، إسـماعيل عبـد القـادر.

كادت الليلـة تمـر بسـلام رغـم غضـب السـماء المنهمـر عـلى رءوس المـارة، لـولا سـيارته الچيـب الفضيـة التـي توقفـت عـلى بعـد خطـوات مـن أقدامـي، سـيارة تحمـل لونًـا وسـطيًّا، لا يـدل عـلى شيء ولا يُسـتدل منـه عـلى مـزاج، كـما هـو الحـال في كل ممتلـكات إسـماعيل وكلماتـه ولفتاتـه.

انفتح الباب المجاور للسائق، ودلفتُ إلى داخل السيارة التي انطلقت بأسرع ما يكون، غير آبهة لما حملت من الطين والماء إلى أرجل المارة المجاورين، الذين تابعوها بنظراتهم الغاضبة الممزوجة بكثير من السباب القاسي.

لم يكن إسماعيل كثير الخروج من المنزل. فالمُهمة الأمنية التي يتفرَّغ لها تقتضي ألا يظهر كثيرًا، كما كان يقول. ولكنه كان مُبالِغًا في التخفي، فمن الذي سيكترث لشخص أسمر يبدو بوضوح أنه جنوبيٌّ، ولهجته الصعيدية تؤكد الانطباع، ولا يتحدث كثيرًا؟ ليس فيه ما يلفت النظر كما يتوهم.

كنتُ أنوي أن أُخفي عنه أمر الألف جنيه التي أخذتها كمكافأة ساعات عمل إضافية، حتى لا يطلب مني أن أضمها إلى الصندوق الجماعي. كانت هذه الألف هي مساعدة السماء لي كي أكمل الأسبوع الأخير في الشهر مستورًا.

- حضرتك اتأخرت شوية. الله يكون في عونك أكيد مشغول.

- شوية إيه يا راجل؟ دول 3 ساعات على ما قدرت اتحرك من البيت، فضلت مستني المطر يخلص وبعدين قلت مابدهاش بقى، زمان علي باش تحت الميه. يلا أهو تعوَّض العفن وقلة الحموم هههههههههه...

- هههههههه على رأي حضرتك أهي حمومة ببلاش.

- والله ناديا كانت عند الدكتورة النهاردة وشافت السونار والبنت بخير الحمد لله. دكاترة سفاحين، الكشف بس والسونار 1500 جنيه, ومكنش معاها فلوس فكة ومفيش

t.me/qurssan

ATM قريبة تسحب منها، استلفنا من واحد معرفة هناك وهنديها له بكرة.

- لا بكرة ليه؟ إحنا نعدي عليه دلوقتي نديهاله. إتفضل حضرتك ده كل اللي معايا.

- الله يباركلك يا علي. الإنسان يعرف إنه خيِّر منين وإنه ابن حلال؟ لما ربنا يقوده لفعل الخير لكل اللي حواليه، ساعتها يعرف إنه فعلًا على طريق الله، ربنا يستعملنا ولا يستبدلنا. قول آمين.

- آمين.

أعرفُ أن كلماته القاسية التي تبدو كإهانات متعمدة، تدخل في إطار تدريبات قوة التحمل، تمامًا كتدريبات الطاعة في الجيش التي لا يجوز مخالفتها ولا التذمر منها. هو يردد تلك المبادئ الأولية على مسامعنا طوال الوقت، والويل كل الويل لمن لا يمتثل أو تقافز الاعتراض في عينيه.

لم تنتهِ هذه الليلة "الغبرة" عند هذا اللقاء الذي أفقدني كل ما في جيبي، حتى أصبحت لا أمتلك أجرة تاكسي يحملني من وسط البلد إلى الزمالك، حيث المجمع الفني الذي أعمل مستشارًا إعلاميًا به. عندما رن جرس الهاتف، كنت قد اهتديتُ إلى المرور على محجوب في الصباح لأقترض منه أجرة التاكسي على الأقل، حتى أطلب سِلفة من راتب الشهر القادم.

"ألو... محجوب كنت لسه هتصل بيك، أنا هعدي عليك الصبح معلش عشان... بتقول إيه؟ تتطلق يعني إيه؟ قصدي

يعني ليه؟... بسببه إزاي؟... عايز منها إيه؟... إيه الكلام الوقح ده؟ هي قالت لك كده بلسانها؟ محجوب، إنت مصدقها؟... مش عارف؟ طب نتقابل الصبح، تعالى وصلني الشغل ونقعد في مكتبي نتكلم. سلام.

لم تكن أرض هذا الصباح قد تشربت بعدُ إغداق السماء عليها طيلة الليل، ولم تكن السويعات القليلة التي نمتُها تسمح بأن أخرج من البيت على غير هذه الحال الرثة؛ بالطو بني يتخطَّى الركبة بقليل، لم يتعرض لحرارة المكواة، فلم تشعر خلاياه بقليل الدفء، ولم يتسرب من خلاله إلى قلبي سوى القشعريرة والانتفاض، قميص كاروه بين الأحمر والكحلي، تبدو ياقته من خلال فتحة البالطو العلوية، وحذاء أسود به عوالق طين الليلة الماضية.

مرَّت سيارة محجوب البيضاء لتخطفني من أمام البيت، وانطلقت بسرعة تنمُّ عن غضب وتخبُّط قائدها. لحظات كالجبال وعيون تتحاشى نظرات من حولها، هكذا كان الحال بيني وبين محجوب إلى أن قال:

- بتقول إنه بيحاول يتحرش بيها من 6 شهور، وكانت بتخبي احترامًا لمشاعري وخوفًا مني، وخوفًا على الشغل اللي بيني وبينه، وبتقول إن بقاله أسبوع بيطلب منها بشكل مباشر... (يبتلع ريقه ويشرد لحظات) زي ما قلتلك امبارح... ولما كدِّبتها قالت ان بقالها أسبوع مستحملة وساكتة عشان تسجِّل له أي حاجة، وفي الآخر سجلت له 3 مكالمات وطلبت مني أسمعهم وأتأكد.

t.me/qurssan

- وسمعتهم؟
- مقدرتش، حسيت إني لو سمعت وطلعت كدابة هقتلها، ولو سمعت وطلعت صادقة هقتل نفسي، عشان مش هقدر أقتله...

يوم عمل رتيب لا يختلف عن سابقيه، ولكنه هادئ نظرًا إلى غياب حبيبة، الفتاة المدللة الجميلة المشوقة. يومٌ لا يحتمِل ضحكاتها المجلجلة في أركان المكاتب، ومزاحها الخفيف الرائق الذي يخرجني من كل ضيقٍ. حتى وإن كنتُ ميتًا وأُحاسب، يمكنها بنعومتها وانكسار رموشها الطويلة على خديها الحمراوين، أن تنسيني المَلَكين والحساب والجنة والنار.

عيونها واسعة ورغم ذلك لا يكاد بياضهما يظهر بجوار الدائرتين العسليتين. حين تُصادف نظراتها قرص الشمس تتلون عيونها كأنها قوس قزح، أرى فيهما ألوان الكون ولمعان النجوم. جسدها يميل إلى الامتلاء لكنه غير ممتلئ، هو يعرف كيف يبدو في كل قطعة ترتديها، تكون رفيعة أحيانًا وممتلئة أحيانًا وطويلة وقصيرة وبيضاء وسمراء، لا أعرفُ لها وصفًا غير أنها جميلة جمالًا مزعجًا... مزعجًا جدًّا لا أكاد أطيقه.

آهٍ يا حبيبة، لو تعلمين كم يؤثر غيابك في المكان ويجعله هادئًا، لا ضحكات فيه ولا التفات عن العمل! لو تعلمين كم يروقني كرسيك الفارغ من ذلك الجسد الغزلاني الذي لا يفارق صحوي ولا نومي، لحضرتِ الآن ولأطبقتِ كفيك الصغيرين على قلبي، ولن تتركيني إلا ميتًا، وليتك تفعلين!

- أما مصيبة محجوب دي مصيبة كمان... إزاي تتجرأ سامية وتفتري على الراجل اللي وقف جنب جوزها وساعده وسدد له ديونه بالشكل ده؟

- باسم؟ إنت دخلت هنا ازاي؟

- إزاي إيه؟ قلتلهم بره عايز مكتب علي. (وضع باسم "فيشة البويلر" الموضوع على منضدة صغيرة بجوار مكتبي، وأحضر كوبًا زجاجيًا وضع به ملعقة سكر وشاي من كيس وعبوة شاي مجاورين، وجلس على الكرسي المقابل لمكتبي) تفتكر محجوب هيعمل معاها إيه؟ هيطلقها كده بالساهل ولا هيسيبها تتربى في المحاكم؟

- والله ما أنا عارف. هو محجوب حكالك إمتى؟

- هو حكالي أنا بس؟ ده حكى للجروب كله. ده حكى لأستاذ إسماعيل نفسه.

- (انتفضت من فوق الكرسي متفاجئًا)... إيه؟ وكان رد فعله إيه؟

- (يصب باسم كوب الشاي) سكت... سكت خاااالص... كأن الكلام مش عنه، وسأل محجوب بكل هدوء "وإنت ناوي تعمل إيه؟" ومحجوب فضل ساكت مبيحطش منطق، وفجأة عيط زي العيال ووطى على ركبه قدام أستاذ إسماعيل، وفضل يتنهنه ويعتذر (وهو يأخذ رشفة من كوب الشاي). أنا حسيت إن وجودي مش مناسب معاهم سيبتهم وجيتلك.

- تفتكر هيطلقها؟

- (مع رشفة من الشاي)... أنا لو مكانه مش هعمل غير كده.

t.me/qurssan

سميرة العرباوي (17 يناير 2016)

كم أكره هذا المنبه الذي لا يكف عن الصراخ، ويوقظني كل يوم على نفس الصداع الرهيب، ربما أنا أخطئ وأضبطه مبكرًا عن الوقت الذي أفضله للاستيقاظ، ولكنها الآن الثانية ظهرًا، فمتى أستيقظ بعد ذاك!؟ بعد المغرب!؟

- نوال... نوااااااال.. حضرتي الفطار؟
- أيوة يا مدام جاهز على السفرة.
- سيد صحي ولا لسة؟
- صحي يا مدام وخرج من بدري.
- طيب روحي انتي.

دائمًا ما أنسى أين تركتُ هاتفي المحمول. وجدته أخيرًا في أحد أدراج التسريحة. بينما كانت يدي اليمنى تمسك الهاتف

لإجراء مكالمة كنتُ أتجول في أركان الغرفة، وأمرُّ على البراويز المُعلقة على الحوائط واحدًا واحدًا أضبط كلًّا منهم، وأقترب وأبتعد حتى أرى البرواز من أكثر من زاوية، ولا أنتقل إلى غيره إلا بعدما أتأكد أنه نظيف يلمع ومعتدل تمامًا لا يميل إلى ناحية. ثم وضعتُ الهاتف بين أذني وكتفي الأيسر حتى أتمكن من ترتيب ملاءة السرير بعناية شديدة، فهذه أمور لا أستطيع أن أتركها لنوال. لن تتقنها كما أفعل أنا.

"أيوة يا محجوب إيه كل ده مش بترد؟ بكلمك من امبارح... ليه خير؟ طيب طيب، عمومًا الزفت نزل من بدري، هستناك في الشركة، عدي عليا نتغدى سوا... سلام".

الفستان الأزرق أم الأسود؟ محجوب يحب الأزرق. ترى ماذا وراءك يا محجوب!؟ ما الذي منعك عني طيلة الليل وأنت لم تعتد النوم إلا على صوت أنفاسي؟ هل كان الأمس لسامية يا محجوب؟ هل نمت الليلة على صدرها وتنفست زفيرها وداعبت شعرها؟ لا يمكن أن تأخذك مني هذه الدُّبَّة الأكولة بنت العرضحالجي، لا هي ولا أولادها سيختطفونك مني. أنا الحبيبة والعشيقة والدفء، وما عدايَ هراءٌ وخيالات.

شتان بين محجوب وسامية، لا أعرف في أي ملابسة بلهاء أغمض عينيه وتزوَّج هذا الكائن اللزج كبير الحجم. يقول إنها كانت ذات جسد فرنسي طويل وممشوق حين تزوجها، ثم أصبحت على هذه الحال بعد زيادة نسبة الكورتيزون في أدوية الحساسية الصدرية المزمنة التي تستمر عليها منذ سنوات، ولم تفلح في إنقاص وزنها أبدًا بعد ذلك. شكلُها لا يبدو سيئًا، لكنه

t.me/qurssan

ميِّت لا روح فيه، ملامحها هادئة كبحيرة راكدة بلا أمواج، شعرها أسود قصير تنتهي أطرافه بين أذنيها وكتفيها، وشفتيها صغيرتان. هل يحب محجوب الشفاه الصغيرة المنمنمة؟ بالطبع لا. إذا كان يحبهما فلِمَ لا تتحرك عيناه من على شفتيَّ كلما رآني!؟ بشرتها خمرية محايدة تشبه بشرة كل النساء في مصر. هي ليست امرأة مميزة على أي مستوى.

بينما محجوب رجل لافت، لا يمكن لأي عين تراه للمرة الأولى أن تتجاوزه هكذا بسهولة. طويل، ذو شعر أسود ناعم لا يخلو من طول، ملفوف العضلات، رقبته طويلة وعريضة، ويزيدها جمالًا تلك السلسلة الفضية التي تظهر أجزاء منها خلف ياقة القميص، يداه ناعمتان ونظيفتان، وهي صفة نادرًا ما تتواجد في رَجُل. شعر ذراعيه الكثيف مُقرف إلى حد ما، لكن الفتيات يرونه دليل رجولة وجاذبية. كم أحبك يا محجوب!

كنتُ أمسك منديلًا مبللًا، أنظف به شاشة التلفزيون القابعة عن يمين مكتبي في سكون، وشاشة (اللابتوب) المستقرة أمامي تمامًا. انتظرتُ حتى وضع العامل فنجان القهوة أمام محجوب ثم خرج. لم يعجبني حاله الساكت الحزين، فانتقلتُ إلى كرسيه، جلستُ فوق قدميه ووضعت رأسه بين نهدي علَّه يهدأ ويسكن: "قول يا سيدي... أنا سامعاك".

- تعبان يا سميرة وحاسس بكلاب مسعورة بتجري في دماغي.
- أنا سرك وبيرك وغطاك وصندوقك المقفول. احكيلي يا حبيبي وكل مشكلة وليها حل.

لـن يمكنني أن أنـسى ذلـك اليـوم؛ أول لقـاء بين سـيد ومحجوب، أو كـما يقولـون في النـكات "بـين زوجـي وحبيبـي". زوجـي، رجـل الأعــمال الكبـير، الــذي لم يــترك فتــاة أو امــرأة أو حتــى قطــة لم يغازلهـا أو يتحـرش بهـا، مـن وراء ظهـري. هـو رجـل لا يحترمنـي. فلـماذا أحترمـه أنـا وأظـل أسـيرة لكذباتـه التـي لا تنتهـي!؟

فاجـأني سـيد بزيارتـه في المكتـب. انفتـح البـاب فجـأة فوجدتـه أمامـي، كنـت قـد انتهيـت لتـوي مـن احتضـان محجـوب وتقبيلـه قبلـة طويلـة، تخفـف عنـه صدمـة مـا جـاءني مـن أجلـه. لم ينبـس ثلاثتنـا ببنـت شـفة، انـصرف سـيد وأغلـق البـاب خلفـه، قمـتُ أنـا مــن فــوق رجــل محجــوب الــذي تســمَّر مكانــه كأنمــا تحــوّل إلى تمثـال شـمع!

تناولنـا الغـداء صامتـين، وركبنـا سـيارتي عـلى غـير هـدى إلى أن انقـضى النهـار دون وِجهـة. اقترح محجـوب أن نذهـب إلى إسـماعيل، لـن نجـد غـيره الآن يدعـم قصـة حبنـا المسـتحيلة، ويرمـم هـذه الـشروخ المـلأى بهـا الـروح.

كان اليـوم ثريًّـا عنـد إسـماعيل أيضًـا، فهـي المـرة الأولى التـي رأيتـه فيهـا يـضرب واحـدًا مـن المجموعـة، طرحـه أرضًـا وانهـال عليـه بالحـذاء، حتـى كاد يُدمـي رأسـه بينـما كان يـصرخ:

- أنـا علمتـك كـده يـا كلـب يـا وسـخ؟ تـضرب راجـل كبـير في الشـارع؟

t.me/qurssan

- (صرخ باسم مُدافعًا عن نفسه بأعلى صوته وطاقته) ما هو اللي خبطني بالعربية حضرتك، ولولا ستر الله كان موتني، وكمان نزل يضربني كأن أنا الغلطان.

- (استمر إسماعيل في الضرب) راجل كبير يبقى تسيبه يضربك حتى لو هيموتك من الضرب، أنا مبعَلِّمش عيال، أنا بعلِّم رجالة. ولو مش هتبقى راجل ملكش مكان معايا... اتفضل بره.

نظر إلي إسماعيل وهو يلهث وبالكاد يسحب نَفَسه، وببطء شديد:

- اتصلي بالناس كلها وبلغيهم إن فيه اجتماع.

كانت هي المرة الأولى -ويبدو أنه يوم المرات الأُوَل- التي يجمعنا فيها إسماعيل على هذا النحو من السرعة والأهمية، ولم يكن يخطر ببالي أن (علقة) باسم هي الدافع للأمر.

- اسمعوا كلكم. أنا قلت لكم قبل كده إن حياة الخدمة العامة مش سهلة، وإن الواحد مننا طالما اختار الطريق ده هيتنازل، وهيتنازل كتير، يتنازل بقى عن شيء من وقته أو فلوسه أو حتى كرامته. كل واحد حسب طاقته أولًا وحسب المطلوب منه ثانيًا. وأنا فهمتكم قبل كده إن أنا مأمور زيكم بالظبط وبتلقى تعليمات زيكم بالظبط. وأظن التنازل ده يكون أهون شيء في الدنيا لما يكون المقابل ليه علاقة بالبلد. زميلكم باسم اتفضل واتكرم ومد إيده على راجل كبير في الشارع لمجرد إنه لمسه بالعربية.

- حضرتك ده كان هيموتني.

- إخرس يا حيوان.

- لمسك ولا طلَّع روحك حتى. الكبير له احترام، وأنا زي ما قلت بربِّي رجالة مش شوية عيال هلافيت. كل واحد فيكم يبص في تاريخه كويس ويشوف هو كان إيه وعايش هلفوت وهايف إزاي، وبقى إيه ومطلوب منه إيه وبيتدرب على إيه وعشان إيه. أرجو إن كلكم تركزوا في المطلوب منكم وفي تدريباتكم. من بكرة بإذن الله هيبدأ تدريبكم الجديد. التدريب باختصار إن كلكم هيبقى اسمكم "عُمر". الأولاد "عمر" والبنات "عمر". يعني باسم هيتصل بـ سميرة أو يقابلها في مكان -أي مكان حتى لو في البيت هنا- هيقولها ازيك يا "عمر" وهي هتقوله تمام كويسة يا "عمر" وهكذا...

الغرض من التدريب ده إن في وقت الخطر أي واحد فيكم يقدر يغير من شخصيته بسرعة ويتأقلم مع الشخصية الجديدة. اسمك هو أول نقطة في بحر شخصيتك، وأول مَعْلَم من معالم هويتك، وفي مهمتنا دي هويتك هي بلدك، وشخصيتك هي بلدك، ودينك هو بلدك. خليك مستعد تغير أي حاجة فيك عشان بلدك.

t.me/qurssan

علي صابر (1 فبراير 2016)

عادة ما ينجذب الإنسان إلى أشباهه؛ بشر، حيوانات، زرع، عمارات، جِنٌّ أزرق... المهم أن تجد من تنتمي إليه. وبرغم أنني لا أشبه أحدًا من مجموعة إسماعيل، فإنني أجد شعورًا بالانتماء يتجذَّر بداخلي ويزداد تعمقًا كلما اجتمعتُ بهم.

لا أنكر أن الجلوس إليهم يروقني في غير أوقات الجد والتدريب. لن أدعي أنني أفهمهم أو أستطيع تخمين شخصياتهم، ولكنهم يروقونني. أنا أصلًا لا أفهم إسماعيل نفسه. عندما أخذ مني الـ 1000 جنيه في السيارة صدَّقتُ المأزق المادي الذي تعرضت له ناديا عند طبيبة النساء، ولكن بعدها بيومين فاجأني بمبلغ 3000 جنيه شاكرًا إياي على نجاحي في الاختبار، وطلب مني أن أقبل المبلغ كله، لأنني لا أكون بكامل تركيزي في التأهيل الجسدي والنفسي المطلوبين مني، بينما أنا مشغول بمشكلاتي

المادية، والعجب العجاب أنه طلب مني بشدة وتأكيد أن أذهب إليه كلما نفدت نقودي.

أراه دائمًا في أحلامي على هيئة والدي رحمه الله، شكل وجسد إسماعيل يتلبس بروح والدي، أراه بجلبابه الواسع الفضفاض وجسده الضخم وشاربه الكث، وعيونه الضيقة كخرم إبرة لا تتسق ومنخاره الكبير كطائر "أبو ملعقة". أراه يعانقني ويعانق حبيبة، ويمسك بكلتا يدينا ويشبك أصابعنا معًا, ثم يضع في جيبي "لفة" كبيرة من النقود، ويتركنا ويمضي ويغلق خلفه بابًا.

علاقتي بوالدي كانت معقدة إلى حد بعيد. أجبرني على التهرب من الجيش، وأجبر أخي الأصغر على "التبليط" في الكلية، حتى أجد أنا الفرصة المناسبة للسفر خارج مصر. أبي هو السبب في توتر العلاقة بيني وبين أخي "رامز" الذي يحاسبني على هذه الاستجابة لأبي حتى الآن.

كان رامز صغيرًا ولا يقوى على مجابهة أبي وقول "لا". أنا كنتُ أستطيع، ورغم ذلك لم أفعل ولم أستطع أبدًا. استحللتُ سنوات عمر أخي التي كان مجبرًا على مكوثها في الكلية، حتى أتهرب أنا من الجيش وأطير إلى الجنة التي تنتظرني خارج مصر، ثم عدتُ بعدها وأنا لا أحتكمُ في مليمٍ واحدٍ يزيد عن ثمن تذكرة الطائرة، عدتُ بعدما تخطيتُ الواحد والثلاثين عامًا لأتحمل خيبتي وخيبة أخي. عدتُ بعد فوات فترة جيشي ودفعت غرامتي، ولا يزال أخي الذي أنهى تعليمه الجامعي في

t.me/qurssan

الخامسـة والعشريـن، متخبطًا في حياتـه مهـزوز الشـخصية إلى حـد بعيـد، ويحمِّلنـي مسـئولية هـذا كلـه.

ومـا زال أبي الرجـل الطيـب لا يشـعر تجاهنـا بـأي تأنيـب ضمير. هـو يـرى أنـه فعـل مـا عليـه تجاهنـا، وأنـه اتَّخـذ لنـا القـرارات المناسـبة في حياتنـا، بمـا فيهـا إجبـاري عـلى التهـرُّب مـن الجيـش. ورغـم ذلـك أنـا لا أشـعر بـأي نقمـة عليـه أو غضـب منـه، إنمـا هـي شـفقة عـلى أخـي الأصغـر، وإحسـاس بالذنـب والخـزي تجـاه هـذا البلـد، الـذي آثـرتُ نفسـي عليـه. شـعورٌ بالخـزي مـن أطفـالي الذيـن في عِلـم الغيـب. كيـف سـأحكي لهـم عـمَّا تهرَّبـتُ أنـا منـه، وتركـتُ أخـي يدفـع ثمنـه بسـنوات بقائـه في الكليـة!؟ وعندمـا تعرَّفـتُ إلى إسـماعيل، وعـرض علـيَّ الانضـمام إلى هـذه المجموعـة السريـة، وجـدتُ في ذلـك أكـبر تعويـض يعيـد إليَّ شـعوري بالرضـا عـن نفسـي، واحترامـي لـذاتي وكرامتـي. يجعلنـي قـدوة لأخـي مـرة أخـرى، بعدمـا أصبحـت نظـرات الاحتقـار لا تفـارق عينيـه، حتـى وأنـا أعمـل مستشـارًا إعلاميًّـا في مـكان مرمـوق.

لا أدري إن كان حُسـن أم سـوء طالعـي، هـو الـذي جعلنـي أشـهد تلـك الجلسـة الرباعيـة المغلقـة، التـي عقدهـا إسـماعيل بعـد انـصراف المجموعـة، هـو وأنـا ومحجـوب وسـميرة. بدأهـا إسـماعيل بالـكلام والهجـوم كعادتـه، وبالجملـة الافتتاحيـة التـي لم تخطـئ أينـما قالهـا "أنـا مبحبـش الحـال المايـل". ارتبـك الاثنـان كأنمـا جـاءا لتوهـما مـن قتـل قتيـل، دون أن يغسـلا أيديهـما مـن دمائـه. سـاد صمـت ثقيـل بعـد الجملـة التـي ألقاهـا إسـماعيل عـلى آذانهـما.

- تتكلموا انتو ولا اتكلم أنا؟

- ...

- حضرتِك يا زوجة يا محترمة يا متربية يا بنت الناس، موقفك إيه لما جوزك يدخل عليكي يلاقيكي قاعدة على رجل واحد غريب (توجَّه بكامل وجهه ونظراته إلى محجوب). اعذرني يا أفندي مقدرش أقول راجل عشان الراجل ميعملش كده. (ثم عاد بوجهه إلى سميرة) طب هو دكر وميهمهوش سمعته ولا سمعة مراته ولا حتى ولاده، طب سمعتك انتي؟ وسمعة الراجل إللي آنيكي؟ وبنتك معملتيش حسابها لما تعرف اللي حصل ده؟ من غير كُتر كلام، الحل الوحيد ليكم إنكم تتجوزوا، سميرة تتطلق من سيد ومحجوب يطلق سامية، وبعدين نرتب موضوع جوازكم. غير كده مينفعش!

t.me/qurssan

سامية علوي (5 فبراير 2016)

يمكننا أن نتحمل المرضى النفسيين كجزء من حياتنا اليومية ومحيطنا القريب، بل ونتورط فيهم ونحبهم أيضًا، إلى أن نبدأ في التهاوي... وإلى أن نستشعر نبضات المرض تسري في أرواحنا، هنا يجب التوقف، وليذهب الدعم والمساندة إلى أعمق بؤرة في جحيم الإنسانية.

لو كنتُ أعرف حين أحببتُك يا محجوب أن نهايتي ستكون على يدي ذلك الحب، وذلك القلب، لدببتُ فيه سكينًا وأنهيت حياته وحياتك، أو على الأقل لاخترتُ لكلينا نهاية أكثر شرفًا من هذه التي أنا بين شقي رحاها؛ الاستمرار مع شخص مفتقد للرجولة ولا يحمل منها إلا "حيامنها"، وبين الانفصال بفضيحة بجلاجل للمصور السينمائي الشهير، الذي سمح لرجل أيًّا كانت سلطته ونفوذه، أن يتحرش بزوجته، وأن يتطور التحرش اللفظي

إلى طلب صريح بما هو أكثر، مع وعد بأن يكون ذلك الأكثر مدفوع الثمن!

تبًّا لك يا محجوب، ولكل لحظة نمتُ فيها آمنة بين ذراعيك وظننتُ أن أذى لن يطالني. كنتُ أشتم رائحة الخراب تلف هذا البيت مذ عرَّفتني للمرة الأولى بهذا الحيوان، وشرحت لي حساسية عمله في أمن الدولة. كانت نظراته تتفحصني بشكل لافت إلا لك. هل أَسَرَك بسداد ديونك؟ هل اشترى رجولتك، بأن لم يسجنك بإيصالات الأمانة التي لم يقدمها إلى الشرطة حين جاء موعدها ولم تسددها، أم أنه (يمسك عليك) ما هو أكبر من ذلك؟ بِمَ اشتراك يا محجوب؟ تُكذِّب زوجتك بعد عِشرة ثمانِي سنوات، وتتخلى عن الطفلين من أجل هذا العاهر القوَّاد!؟

لم أتخيل يومًا أن أقف بين يدي قاضٍ في محكمة أحوال شخصية، لأضع بين يديه تسجيلًا لضابط أمن دولة يراودني عن نفسي بعلم زوجي، ولكن يبدو أنه لا مفر يا محجوب، إن لم تطلقني بهدوء، أقسم أن أفعلها، وأن أجعل الجرائد التي طالما كتبت عن سحر كاميراتك، تكتب الآن عن المصور الشهير مُدمِن الخمر الذي فقد عقله ورجولته.

كان لا بدَّ أن أفهم منذ تلاقينا أنك غير سوي وغير مؤتَمَن. كيف كنت أتغاضى عن أنك تستقبل أصدقاءك الرجال في بيتي أثناء غيابي، وتدعهم يدخلون إلى غرفة نومنا!؟ كيف كنتُ أجعل الشجار يمرُّ هكذا وأنا لا أشعر بغيرتك، حين ترى أصحابك ينظرون إلى ملابس نومي المُعلَّقة على الشماعة في

t.me/qurssan

غرفتنا الخاصة!؟ كيف أعماني الحب هكذا يا محجوب؟! يبدو أن الحكايات التي طالما سمعتها من مجهولين في مكالمات هاتفية كانت صادقة. هل حقًّا ماتت أمُّك غاضبة عليك بعدما سرقتها وضربتها؟ هل حقًّا مات أبوك مشلولًا بعدما سرقت ختمه وبِعتَ أرضه التي رواها بسنوات عمره؟ كيف انبهرتُ أنا بشهرتك وصيتك الذائع، ولمعة عينيك وكلامك الناعم كلمسات يديك، وصدَّقتُك إلى هذا الحد، إلى درجة أنني لم أهتم حين لم يحضر زفافنا أحدٌ من أهلك؟!

أتذكر أن فتاة يبدو من صوتها أنها بالكاد تخطَّت العشرين، اتصلت بي بعد زواجنا بعدة أشهر، ترجوني أن أقبلها زوجة أخرى لك. قالت إنها ابنة عمِّك وأنك لا بدَّ أن "تتستَّر" على ما فعلته بها، لأنك إن لم تفعل سيزوجها أبوها قريبًا وسينكشف أمرها! كانت ترجوني أن أقبلها خادمة في بيتنا يا محجوب، كي لا يُفضَح أهلُها في البلد. لكنك هِجتَ ومِجتَ وتوعدتها بأقصى عقاب، جراء الوشاية الكاذبة المُدَّعية. هل تذكر العزاء الذي دُعيت إليه بعد تلك المكالمة يا محجوب، وتعللت بأعمالك وانشغالاتك؟ تُرى هل قُتلت الفتاة أم انتحرت!؟

t.me/qurssan

سيد يوسف (10 فبراير 2016)

لا بـد لـكل خائـن أن يـبرر خيانتـه، وإلا فلـن يتحمـل رائحـة الوسـخ التـي سـتفوح مـن تحـت إبطيـه، ويمـوت!

رأيـت فيـما يـرى النائـم الخائـف، أننـي أبحـث عـن ابنتنـا "نـور" في كل مـكان؛ البيـت، الشـارع، المدرسـة، النـادي... ولم أجـد لا رائحـة ولا طيفًـا ولا أثـرًا، ولكننـي وجـدت سـميرة تجلـس عـلى كرسـيها الهـزاز في البلكونـة تدخـن سـيجارة، وتشـعل عـودًا مـن البخـور تضعـه عـلى المنضـدة المقابلـة لهـا بجـوار قنينـة خـضراء تحمـل نبتـة "مسـك الليـل". رأيتُهـا هادئـة مسـتكينة تنظـر إلي بطـرف عينهـا اليمنـى، وأشـارت بيدهـا -باسـتهتار- إلى الجانـب الأيمـن للبلكونـة.

لا أعـرف لمـاذا تـرددتُ في التوجـه ببـصري حيثـما أشـارت، ثـم نظـرتُ ورأيـتُ، تمنيـت وقتهـا لـو أننـي فاقـد البـصر، أو فاقـد

العقل، فلا أستوعب ما أرى. رأيت ابنتنا نور مربوطة من رقبتها إلى سور الشرفة، وجسدها متدلى إلى الخارج، وتمد إحدى يديها إلى أمها (التي تنظر لها بابتسامة كأنها تدخن سيجارة حشيش) وباليد الأخرى تحاول أن تفك الحبل المُحكم حول رقبتها، ولم تستطع.

استيقظتُ بعد موعد نزول نور إلى مدرستها، ولا أعرف لِمَ قررت في ذلك اليوم تحديدًا أن أزورها في المدرسة.

لم يحدث في ذلك اليوم شيء مثير، نور بحالة جيدة ولا ألحظ عليها شيئًا غير عاداتها. هناك خبرٌ ما يُلم بأسرتي ولا بد لي من اكتشافه، أنا لا أتبع الأحلام عادة، لكني أؤمن أنها رسائل. أحيانًا يرغب المرء منا في تفقد صندوق رسائله، وأحيانًا يصم عينيه عمدًا.

من مدرسة نور إلى مكتب سميرة أتبع حدسي، لم أتبين ملامحها جيدًا، فقط فستانها الأزرق القصير وشعرها البُني وحذاءها الأسود، وجلستها المعوجة فوق فخذي رجل، استمالة جسدها فوق صدره، يمكنني أن أميِّز جيدًا ارتخاء شفتيها حينما أنتهي من تقبيلها. ظننت أنني فتحت المكتب الخطأ، فأغلقت الباب مسرعًا وخرجت إلى الممر ثم إلى بهو الاستقبال. هرولتُ إلى الشارع أيضًا مُسرعًا، كأنني أجري من وحشٍ خلفي وأخشى النظر إلى الوراء. ظننت أن عيني ربما خانتاني، فاتصلتُ بسكرتيرة المدام وتأكدتُ أنها هي التي كانت بالمكتب.

تعرَّفتُ إلى سميرة في إحدى حفلات نادي الجزيرة، لن أنكر أن مظهرها المتأنق وجلستها المعتدلة، مستقيمة الظهر مفرودة

t.me/qurssan

الكتفين أول ما جذبني إليها. كانت تمسك فنجان القهوة بثقة ورقة، وتضع ساقها البيضاء فوق الأخرى. جسدٌ ممشوق منتصب بلا انثناءات، وشعر بُني يعكس نور الشمس، ونظارة سوداء منتقاة بعناية، وتتسق مع ألوان "بلوزتها" الشيفون الواسعة الشفافة، وبنطالها الچينز الأبيض. بهرتني ثقتها في نفسها وتنفيذها لكل قرار تتخذه في حياتها، قوة إصرارها على ما تفعل دون الالتفات إلى الآخرين، حتى ولو اجتمع هؤلاء الآخرون على خطأ ما تفعل. سميرة لا تسمع إلا صوت سميرة، وباقي الكون مجرد صدى.

لم أتوقع عودتها إلى البيت في ذلك اليوم، لكنها عادت. ربما لم تنتظر هي أن أكون أنا بالبيت. دَخَلَتْ غرفتها ببرودها المعتاد على القتل، الذي لا يخشى النظر في عيني ضحيته. فتحت دولاب ملابسها واختارت قميص نومٍ تعلمُ جيدًا أنني أكرهه، وأنا أتبعُها في الشقة كالقط الفزِع، أنتظر منها جوابًا على ما لم أسأل. ارتدت قميصها بنفس البرود، واستدارت إلي بعينين جاحظتين يسوِّد الكُحل ما تحتهما، وقالت: "طلقني، أشرفلك"! وأولتني ظهرها وأطفأت "الأباچورة" المجاورة لها، وغطَّت نصف جسدها الأسفل، ثم أغمضت عينيها.

هكذا ببساطة فعلت ما فعلت، ما رأيتُ وما لم أرَ، ثم أغمضت عينيها ونامت. تجاوزت البنت والبيت والسنين والذكريات والحب والخلاف والبُعد والعتاب والقُرب، تجاوزتني، وخانتني، ونامت!

نصحني طبيبي النفسي أن ألعب لعبة الكرسي الفارغ. أضع الكرسي أمامي وأتخيلها تجلس عليه. كنتُ أقول لها كل ما يمكنني أن أنعتها به من سباب. كنتُ أضربها حتى تؤلمني يداي أو يقع الكرسي على الأرض، فلا أفيق إلا على صوت الارتطام، أو على صوت نور تصرخ في الخارج، وتظنني جُنِنت. نصحني أيضًا أن أُفرغ مشاعري على الأوراق، علَّها تحمل عن قلبي الجبال، لكنها في الحقيقة لم تزدها أمامي إلا وضوحًا وثباتًا.

في غضون أيام قلائل، كانت سميرة قد تركت البيت. أخذت ما استطاعت من ملابسها ولوحاتها الثمينة من فوق الحوائط، وزهرياتها القيمة التي دفعتُ فيها مئات الآلاف في المزادات التي طالما سحبتني إليها كالبقرة، تحلب أموالي وقتما تريد وأينما تقرر. بقدر ما أحببتها كرهت نفسي. كلما نظَرتْ "نور" في عيني باغتتني بجملتها البريئة "بابا... عينيك مبلولة ليه؟ إنت بتعيط؟". هي تستشعر البكاء قبل أن يصل إلى المقلتين، تستشعر بكاء القلب كأنها ترى العصرة والحسرة. وكله كوم وأم سميرة كوم آخر، أفهم حين أراها إحساس "الأم المكلومة". عرفتُ أن الأم المكلومة هي التي تُسمَعُ "نهنهاتها" في أي وقت من الليل، أوله وآخره، سَحَره وفجره. الأم المكلومة هي التي تضع أنفها بين ملابس ابنتها، ولا تغير ملاءة سريرها، تتشمم عطرها وعَرَقَها على حد سواء، وتنتظر... الأم المكلومة دائمًا تنتظر!

t.me/qurssan

باسم منصور (18 مارس 2016)

لم يكن الحظ متوقعًا لأن يكون أفضل مما هو عليه الآن. أمرنا إسماعيل أن ننتقل للعيش معًا في شقته حتى نكون أقرب إلى حالة التدريبات الدائمة، ولكي لا ننفصل نفسيًّا عن المهمة التي نحن بصددها، نقلتُ أغراضي من الغرفة المكتظة ببيت المغتربين، وأجلسُ الآن في غرفة مشتركة مع علي، لي فيها دولاب وسرير وشباك ولوحات فنية قيِّمة، وتسريحة عليها أطايب العطور و"كريمات" البشرة والشعر. كدتُ أنكفئ على قدم إسماعيل لأقبلها حين أخبرني بأمر الانتقال إلى شقته الواسعة، ووضعني في هذه الغرفة الجميلة. وأنا مَن أنا؟ "حتة" طالب في نهائي طب نهارًا، وحارس على شركة FM للأدوية ليلًا. بينما هو الرجل "الكُبَّارة" ابن الأصول، يليق في أي ملبسٍ يرتديه ابن المحظوظة؛ إذا ارتدى أحد جلابيبه الواسعة المعطرة، بدا كما لو

كان "معلِّم" في سوق الفاكهة لا تلمس يداه إلا المانجو والتفاح والفراولة، وتدبُّ حمرة العافية في وجهه رغم سَمَار بشرته المدموغة بشمس الأقصر. وإذا ارتدى البدلة الكلاسيك بدا كما لو كان أحد بشوات حزب الوفد أيام ثورة 19، وتكون حمرة الخدين آنذاك هي حمرة الديوك الرومي وكشك الألماظية.

حتى مسئولياتي التي تركتُها خلفي في دمياط، أصبح إسماعيل يلملمها ورائي على حداثة عهدي به وصداقتي معه. عملي في الحراسة لا يسمح بأن أرسل مبلغًا كبيرًا إلى أمي وأبي وأخواتي البنات، ودخلُ أبي كسائق تاكسي، لا يشبع كافة ثغرات الحياة. بهية طالبة في الثانوية العامة، وبثينة تلميذة في "ثالثة ابتدائي"، وطاحونة الدروس الخصوصية تَدْرُس كل ما يقع بين رحاها. أمي تدبر البيت قدر المستطاع لكنها لا تضرب الأرض فتطرح بطيخًا.

لا يتسامح أبي في تأخير المعلوم الشهري الذي أرسله له، ولا يحسب حسابًا للحياة الغالية في القاهرة، من إيجار إلى ملبس إلى مأكل إلى متطلبات الكلية. ما لي أنا وهذه المسئوليات المبكرة؟ ألا يكفيه أنني لا أطلب منه أبيض ولا أسود!؟ على أي حال، الحمد لله أن رزقني بإسماعيل في الوقت المناسب، ووجدتُ أخيرًا من يتدبر أمري، ويحمل عني عناء التلفيق والتصريف من هنا وهناك. أخيرًا سأودِّع الشقاء إلى غير رجعة، وأحيا هذه الحياة الرغدة، ثم أُحسب في النهاية من الأبطال، ويكتب مؤلفو المسلسلات أعمالًا درامية تحمل الجملة السحرية "من

t.me/qurssan

ملفـات المخابـرات المصريـة" وتتحـدث عنـي دميـاط بأكملهـا. المجـد بانتظـارك يـا باسـم.

الحيـاة مـع عـلي في غرفـة واحدة لا تشـكل لي عبئًا عـلى الإطلاق، فكونـه صامتًـا معظـم الوقـت هـي الميـزة الكـبرى في شـخصيته. حين أنغمـس في المذاكـرة أنـسى وجـوده عـلى السريـر المجـاور لي لبضـع سـاعات، ثـم أفاجـأ بـه يتحـرك أو يتنحنـح أو يـرد عـلى الهاتـف. عـلى أي حـال هاتفـه لا يـرن كثـيراً، ويبـدو أنـه ليـس لـه علاقـات خـارج إطـار المجموعـة، رغـم وسـامته التـي أحسـده عليهـا. شـعره الأسـود الفاحـم الناعـم، وبشرتـه السـمراء، ووجهـه المسـتدير ذو العيـون البُنيـة، تجعلـه أقـرب الشـبه برجـل إسـباني ذي جسـد مثـير، ربمـا أشـبه بــ أنطونيـو بانديـراس، خاصـة بعدمـا رأيـت عضـلات صـدره القويـة بينـما كان يبـدل ملابسـه. صوتـه أيضًـا رجـولي جـدًّا ويحمـل ذبذبـات رخيمـة، كأنـه مذيـع راديـو أو حـكَّاء "حواديـت".

t.me/qurssan

نادیا سالم (30 مارس 2016)

كنــتُ قـد تخطيـت الثلاثـين بعامـين حـين قابلتُـه للمـرة الأولى، تعارفنـا بشــكل عـادي وروتينــي عــلى (الفيسـبوك)، عندمـا كتـب تعليقًــا وتحليــلًا طويــلًا للمسرحيــة الشــعرية التــي صــدرت لي مؤخـرًا، تعليقًـا سـاحرًا ومؤثـرًا، لا يصـدر عـن ضابـط. خاصـة في هـذا القطـاع الـشرس، أمـن الدولـة. أذكـر أننـي كنـتُ أمـرُّ بأحلـك فـتراتي العاطفيـة والاجتماعيـة بعـد فسـخ خطبتـي. كنـتُ عـلى وشـك الانتحـار أو الإلحـاد.

لم أكـن أخـشى المـوت، بـل أطلبـه بـكل نقطـة دمـاء تـسري في عروقـي، ومـا أوقفنـي عنـه غـير السـمعة "الهبـاب" التـي سـتنال أبي وأمـي، الرجـل الطيـب والسـت المنطويـة، ناهيـك مـن وقـف حـال الأختـين الأصغـر منـي. وجـدت أن الإلحـاد هـو الحـل، فأيـن يقبـع ذلـك الإلـه الكبـير العظيـم الـذي يعبـث بكـرات الصلصـال

في وقـت فراغـه -ووقتـه كلـه فـراغ- ليشـكِّل منهـا هـذا الكائـن المتحـدث السـمج "الـ إنـ سـا ن"، ثـم تروقـه الهيئـة فيصنـع منهـا ملايـين الملايـين مـرارًا وتكـرارًا؟ يـا لهـا مـن لعبـة سـخيفة لا تليـق بـأن تكـون لإلـه!

في ذلـك التوقيـت الحـرج مـن حيـاتي، ظهـر تمامًـا كالسـاحرات الطيبـات الـلاتي يأتـين في الثلـث الأخـير مـن "الحدوتـة"، ليلمسـن قلـب الفتـاة بالعصـا السـحرية، فتنقلـب الفسـاتين إلى الأبيـض والأزرق والشـفاف، ويتلـون الهـواء بقـوس قـزح، وتصعـد الشـجيرات الصغـيرة إلى طـرف شـباكي، لأصحـو عـلى نقـرات العصافـير. في ذلـك التوقيـت بالضبـط ظهـر إسـماعيل.

كان أبي يجمعنـا حولـه صغـارًا، ويحـكي لنـا عـن سـندريلا التـي خطفـت قلـب الأمـير، وكيـف أنـه قلـب البلـدة رأسًـا عـلى عقـب، يبحـث عـن الفتـاة صاحبـة "فـردة" الحـذاء. أبي يتخصـص في "الحواديـت" والحكايـا، وأمـي بالـكاد تلتقـط أنفاسـها مـن عملهـا في وزارة الإرشـاد القومـي -الإعـلام حاليًـا- ثـم تجـري داخـل المنـزل تطبـخ وتنظـف وتسـاعدنا في مذاكـرة دروسـنا, وتسـتأذن مبكـرًا مـن عملهـا، لتـأتي إلى مدارسـنا تتابـع مسـتوانا مـع مُدرِّسـينا. كل أمهـات هـذا الجيـل كُـنَّ عـلى هـذه الشـاكلة، وأمـي منهـن. لم يكـن رأسـها يفـرغ مـن تفاصيلنـا الصغـيرة الأكـثر والأهـم مـن تفاصيـل الحواديـت. لكـن حضنهـا وضمَّتهـا لنـا كل مسـاء، كانـت أحـلى مـن كل حواديـت أبي وسـاحراته الطيبـات وأمرائـه الوِسـام.

t.me/qurssan

تكـررت سـندريلا في أحلامـي كثـيراً، لكننـي أصبحـتُ أرى نفـسي مكانهـا، وأرى إسـماعيل مـكان الأمـير. تكـررت مقابلاتنـا في اللقـاءات العامـة والنـدوات التـي أتواجـد فيهـا، وبالتـالي يحـرص هـو عليهـا. تعارفنـا فتقاربنـا فتصادقنـا، وهـا أنـا الآن أحمـل منـه جنينًـا عمرهـا -كـما قـال الأطبـاء- سـتة أشـهر. كان اعـتراف حبـه لي، هـو "الأشـيك" والأكـثر أناقـة فيـما رأيـت وشـهدت وقـرأت في قصـص الحـب، أجمـل بكثـير مـما فعلـه الأمـير ليجـد سـندريلا.

يدعـوني إلى مسرحيـة في الهناجـر تنتهـي في التاسـعة، ثـم يفاجئنـي بـأن حجـز لي سـيارة أجـرة (فأنـا لم أوافـق قـط أن أسـتقل معـه سـيارته)، يودعنـي إلى بـاب السـيارة، وعندمـا تنطلـق بي في اتجـاه المنـزل يتصـل بي، ويطلـب أن أفتـح العلبـة التـي بجـواري عـلى الكنبـة الخلفيـة: وردة حمـراء وخاتمًـا مـن الفضـة التـي أعشـقها أكـثر مـن الألمـاس، محفـورًا عليـه اسـمي "ناديـا" وزجاجـة مـن عطـري المفضـل، وورقـة بيضـاء بهـا كلمـة واحـدة متبوعـة بأحـلى علامـة اسـتفهام أبصرتهـا عينـاي "تتجوزينـي؟".

لم أكـد أشـعر بفـترة خطبتـي منـه، مـرَّ الشـهران كالحلـم الجميل السريـع. ووجـدت نفـسي فجـأة أجلس جـواره في فـرح كبـير "بأوتيل 5 نجـوم" يطـل عـلى نيـل الزمالـك، ويغنـي حـولي عمـرو ديـاب وتتراقـص أمامـي بخفتهـا ورشـاقتها دينـا. أسرتي ليسـت بالفقـيرة ولا بالغنيـة، ورغـم ذلـك انبهـر الجميـع بهـذا الفـرح الأسـطوري الـذي لم نـرَ مثلـه إلا في التلفزيـون. جميـع أصدقائـه الذيـن اكتشـفت لاحقًـا أنهـم أفـراد المجموعـة "أ"، كانـوا فَرِحـين مـن قلوبهـم ويظهر

ذلـك في عيونهـم، إلا سـميرة. أنـا لا أخطـئ العيـون أبـدًا. وعيـون سـميرة يومـذاك كانـت لا تحتـوي إلا النـار والأجيـج.

أحيـا بجـوار إسـماعيل في حلـم واسـع جميـل، لا يؤرقـه سـوى الاجتماعـات التـي يعقدهـا لأفـراد مجموعتـه، والتدريبـات الثقيلـة التـي يدربهـم عليهـا، وعـلي أنـا أيضًـا، باعتبـاري أصبحـت واحـدة منهـم، مُرغمـة غـير مخـيَّرة. أتذكـر يـوم فاتحنـي في الأمـر، وعـرض عـلي الانضـمام، لم يكـن بإمـكاني التنصـل مـن خدمـة كهـذه، لهـذا البلـد الطيـب المنهـوب الواقـف عـلى عتبـات الحـد الأدنى في كل شيء. أشـعر بالفخـر لمـا يمكننـي أن أحكيـه لابنتـي، عـن مغامـرات وصـولات وجـولات قضتهـا أمهـا، تدافـع عـن حـق غيرهـا في الحيـاة والأمـان والعـدل.

كنـتُ أتعجـب أن يحبنـي رجـل صعيـدي الأصـل، وأنـا أبـدو عـلى هـذه الطلَّـة المنفتحـة؛ أرتـدي "التنـورات" القصـيرة حتـى الركبـة، أدخـن السـجائر أمـام الجميـع عـدا أفـراد أسرتي، وشـعري القصـير في لونـه الأحمـر الجديـد، لم يـزدني إلا تمـردًا وشراسـة في أعـين النـاس. حتـى حينـما أرتـدي البناطيـل الجينـز كنظـيراتي، أعـرف أننـي أكـون جميلـة ومثـيرة، حينـما أرتـدي معهـا القميـص الرجـالي القصـير، وأشـمر أكمامـه حتـى المرفـق، وتبـدو حـدة عينـي مـن خلـف زجـاج النظـارة كأنهـا رصاصـة تخـترق قلـب مـن أمامـي مبـاشرة.

لكننـي تفهمـتُ عـلى مـدار الأيـام رغبتـه القويـة التـي تقـوده دون أن يـدري، لقتـل كل مـا تأسـس بداخلـه في الصعيـد. خصـلات شـعره الطويلـة حتـى أسـفل رقبتـه مـن الخلـف، ملابسـه الغاليـة

t.me/qurssan

والألـوان الفاتحـة "البنـاتي" التـي يختارها لملابسـه، الأثـاث "المودرن" الـذي اختـاره لتأسـيس هـذه الشـقة، والأجهـزة الغاليـة التـي جهَّزهـا بهـا، جلسـة "المسـاج" والتدليـك التـي يوفرهـا لـه باسـم كل أسـبوعين، بمـا فيهـا مـن حمامـات عنايـة بالبـشرة والشـعر، حتـى تنظيـف الوجـه بالفتلـة يقـوم بـه باسـم لإسـماعيل! هـذا بخـلاف اللغـة القاهريـة التـي يقحمهـا إسـماعيل في كلامـه، حتـى تنسـحب أمامهـا الألفـاظ الصعيديـة. كل ذلـك يعنـي لي أنـه -تدريجيًّـا- يقهـر الصعيـدي الفقـير الـذي كانـه قبـل سـنوات.

t.me/qurssan

علي (14 إبريل 2016)

لا أذكر تحديدًا كيف بدأ هذا الحوار الساخن ولا من بدأه، لكنني أتذكر أنني وجدت نفسي فجأة أقف وسط دائرة المتحدثين دون أن يدعوني أحدهم للمشاركة، فقط لأنني سمعت اسم "حبيبة". تناثرت بعض الكلمات: إجازة، خطبة، فستان، مهندس... وجدتني أقف بينهم أبحثُ عنها، أُطالبها غاضبًا بتفسير لما سمِعتُ، وأرجوها أن تنفي كلَّ ما قيل. لا أجدها معهم ولا في أي مكان، انتظرتها طوال اليوم ولم تأتِ. استعرت النار في صدري، برغم كرهي لها، كيف تجعلني آخر من يعلم بمثل ذلك الأمر؟ ألم يخطر ببالها أنني أتلقف أخبارها وأختلس النظر إليها، بل وأسير خلفها أحيانًا، لأتشمم الرائحة المنبعثة من شعرها الطويل، الطويل جدًّا؟ ألم يبلُغها كم أكرهها!؟

لم أستطع الانتظارَ إلى الغد، أخذتُ عنوانها وذهبت إلى بيتها، متعللًا ببعض الأوراق التي لا يمكنها أن تنتظر إلى الصباح. بينما تعدُّ والدتها فنجانًا من القهوة سألتُها: "هتتخطبي يا حبيبة؟" تنهَّدت وحبست دمعة بعينيها، ونظرت تجاه باب الغرفة، اقتربتُ من الكرسي الذي تجلس عليه، ومددت يدي لأمسك ذقنها، انتفضت واتجهت إلى الباب:

- من فضلك ماما جاية متسببليش مشاكل.
- أنا مش هسببلك أي مشاكل، أنا بس عايز أعرف الحقيقة منك.
- لسه مش عارفة. لما أقرر هقولكو.
- أقولكو؟
- أيوة. الزملا كلهم يعني.
- طب وأنا يا حبيبة؟
- (تفنجلت عيناها وعقدت يديها فوق صدرها واتجهت نحوي ببطء) إنت؟ إنت إيه؟ إنت واحد بيكلمني ف المكتب بالعافية. مفيش مرة طلبت منك طلب وعملتهولي من أول مرة، مفيش مرة اتصلت بيك بعد الشغل ورديت عليا، مفيش مرة شوفت حد بيحاول يتقربلي واتدخلت، عايز مني إيه دلوقتي؟
- يمكن عندك حق.
- مش يمكن!

t.me/qurssan

- طيب. طيب يا حبيبة، عندك حق، تقومي تقرري فجأة تتخطبي وتتجوزي و... وتبعدي عني؟

- هو إنت قريب؟

- عايز أقرب.

- كنت قربت من بدري.

- (اقتربتُ منها وفككتُ يديها المعقودتين أمامها وأمسكتهما بين يدي) طب لو قلتلك بحبك!؟

- (خطفت يديها بقوة) إنت جاي تفاصل؟

- بلاش "لو"... أنا بحبك يا حبيبة... بحبك.

- بتعمل كده عشان حسيت إني هضيع.

- لأ. أنا بحبك، حتى لو قررتي إنك تضيعي، حتى لو مش هترجعي تاني، أنا قررت أقولهالك حتى لو متأخر، وجيت أقولها سواء هتسمعيها أو لأ. (أمسكتُ يديها ووضعتُها فوق صدري) أنا... بحبك... بحبك. (استدرتُ لأخرج من الغرفة، فاصطدمتُ بوالدتها لدى الباب تحمل فنجانًا في صينية فضية. شكرتها وتعللتُ بالعمل لأخرج مُسرعًا، فطلبت الأم من حبيبة أن توصلني إلى الباب).

- هستناكي بكرة في المكتب.

- أنا واخدة أجازة 3 أيام.

- هستناكي. وبالمناسبة، متبقيش تفردي شعرك على ضهرك كده، الناس عيونها مبتنزلش من عليكي، لِمِّيه أحلى. اعمليه كحكة.

- كحكة؟

- آه كحكة. عيشي عيشة أهلك. سلام.

لم أعرف الحب أبدًا قبل حبيبة،عرفتُ من النساء كثيرات، وعشت بدايات الحب كثيراً، فقط البدايات، لكنني كنت أفرُّ كمن رأى ليثًا يسنُّ نيوبه ليغرسها في قلبه. يدقُّ قلبي لعدة أشهر وربما أسابيع، ثم أشعر بالانضباط، ثم الالتزام، ثم التورط، ثم المسئولية تجاه العلاقة، ثم العبء، ثم الاختناق. ولا يعود صدري يتنفس إلا عندما تنتهي هذه العلاقة، تكرر ذلك أكثر من مرة، ولم أرتبط بفتاة إلى ما يزيد عن العام الواحد. أعرفُ أن هذا الاختناق لن يحدث مع حبيبة، ليس عندي دليل واحد على ذلك، لكنه قلبي الذي "اتخطف" ما إن رآها تدخل المكتب أول مرة، أكد لي أنها الأخيرة التي ستدخل هذا القلب، وستغلقه خلفها إلى الأبد.

t.me/qurssan

باسم (18 إبريل 2016)

التدريبات التي يضعها لي إسماعيل صعبة وتحتاج إلى تركيز، وأنا بالكاد أوزع تركيزي بين أقسام حياتي: الدراسة والعمل. وليس هناك مكان في عقلي لتدريبات إسماعيل، بالإضافة إلى مكالمات أمي التي تؤنبني دائمًا، أنني لم أسافر لرؤية أبي المريض منذ عدة أشهر. هو لا يقدِّر أنني بالكاد أفتح عيني لتناول وجبة عشاء خفيفة، قبل أن يسقط الطعام من يدي ولا أشعر بجسدي إلا بعد عدة ساعات.

كل منَّا له حظ مع أناس بعينهم أكثر مما له مع آخرين، وهكذا كنتُ أنا مع أبي. كان يفخر بكوني ابنه الذكر الوحيد، ومُخلِّد اسمه، بينما تسخر أمي من هذا الفخر، وتسأله دائمًا عن وجه الإنجاز في أنه أنجب ذكرًا، فالناس تنجب الذكور منذ أنجبت حواء قابيل وهابيل. وبالطبع كان ذلك لصالح أخواتي

البنـات، الـلاتي يسـمعن كلامهـا دائمًـا وتحركهـن كبنـان أصابعهـا. البنـات يجلسـن في حضنهـا، البنـات يأخـذن المـصروف الأكـبر، بينـما أنـا ألام عـلى أنني أقـترض منهـن رغـم التعويـض الشـهري الـذي يعوضنـي بـه أبي، رغـم قـصر يـده.

وأحيانًـا بـدون أن أطلـب كانـت أخـواتي البنـات يضعـن النقـود تحـت وسـادتي، وهـنَّ لا يشـعرن أني مسـتيقظ، أو أننـي أشـعر بدبيـب خطواتهـن البطيئـة. لكننـي لم أتسـامح يومًـا مـع كونهـن أقـرب لأمـي، وأنهـا تحـب البنـات أكـثر مـن البنـين. عائلـة أمـي كلهـا عـلى هـذا الوضـع، يفضِّلـن البنـات ويمنحهـن مـا لا يُمنـح الذكـور. كـم تمنيـتُ وأنـا صغـير أن أكـون بنتًـا كي أحظـى بهـذا الاحتضـان الطويـل مـن أمـي! وهـي أيضًـا طالمـا قالـت "ياريتـك كنـت طلعـت بـت كان أحسـنلي بـدل مانـا مـش مسـتنفعة منـك لا بـت ولا واد".

أنـا الفتـى المدلـل مـن أبيـه والمضطهـد مـن أمـه. هـي تقـول إنهـا تـربي رجـلًا لا بـد أن يعتمـد عـلى نفسـه، وهـي لا تعـرف أنـه لـكي يصـير الرجـل رجـلًا، يجـب أن يبنـي رجولتـه عـلى نسـاء يخدمنـه، ويقطعـن مـن أنوثتهـن مـا يُرقِّعـن بـه ثغـرات رجولتـه حتـى تكتمـل. الأنثـى طبيعتهـا النقـص، بينـما الرجـل لا يرضيـه إلا الكـمال ولا يقبـل مـا هـو دونـه.

ورغـم ذلـك، رغـم اعتـزازي برجولتـي، اسـتجبتُ لأمـر إسـماعيل في تدريبـي الأخـير. لا أعـرف لمـاذا اختصَّنـي أنـا وحـدي بهـذا التدريـب دون شـباب المجموعـة كلهـم! جمعنـا إسـماعيل ودخـل في الموضـوع مبـاشرة دون تمهيـد:

t.me/qurssan

- باسم، من هنا وطالع إنت ست البيت، طبعًا مش أعلى من سميرة، لكن إنت هتبقى المساعدة بتاعتها. تاخد من هدومها إللي ياجي على مقاسك، وهتعمل مكياچ طول الوقت اللي تكون موجود فيه في الڤيلا. هتقف في المطبخ وتكنس الأرض وتغسل مواعين، وهيبقى اسمك في وقت التدريب "فوزية". والكل هنا مأمور إنه يلتزم بالاسم ده، إللي هسمعه بيقول باسم هقطع رقبته. ولو قابلتك في البيت لابس حاجة رجالي مش حريمي، ولا مش ملطخ وشك بالروچ والكُحل هقطع رقبتك إنت كمان. المفروض إنك بتأدي دور شغالة، يعني اللي يتطلب منك تعمله من غير تمردة ولا اعتراض. أنا عارف إن وقتك بره البيت ضيق، عشان كده اخترتلك تدريب هيِّن عليك وسهل، وجوّه البيت عشان تلحق تذاكر.

ناديا لم تناديني بهذا الاسم "فوزية" قط. كانت تتعمد ألا تناديني من الأساس، حتى لا تضطر إلى جرح مشاعري، "أنا عايزة آكل كذا لو ممكن، إذا أمكن ياريت أوضتي تتنضف النهاردة لما الوقت يسمح". كانت تلتزم بالأمر الذي لديها، بأن تطلب مني أشياء أقوم بها يوميًا، وحاوَلَتْ قدر المستطاع أن تطلبها دون إهانة رجولتي المجروحة خلف هذه "الچيبات" ومريلة المطبخ.

بينما سميرة تعاملني على أنني "الدادة" المساعدة لها بالفعل، لا تتجبر في معاملتها، لكنها كما لو كانت صدَّقت كوني أنثى. تعاملني بحنان الأم، أو الأخت الكبرى التي وجدت

لنفسـها أخـيراً أنثـى مثلهـا تُسـلي وحدتهـا. تقـف معـي في المطبـخ تعلمنـي أصنـاف الطعـام، بينـما أنـا عقـلي منشـغل بحـالات المـرضى التـي أتابعهـا في المستشـفى، تعلمنـي كيـف أقطـع البصـل، وأنـا لا أرى أمامـي سـوى صـورة المريـض، الـذي خيطنـا لـه إصبعًـا مقطوعًا في الطـوارئ بالأمـس.

t.me/qurssan

سيد يوسف (1 مايو 2016)

نحـن ندمـن الأشـخاص تمامًـا كـما ندمـن المخـدرات، نتذكرهـم في نفـس مواعيـد اللقـاء التـي اعتدناهـا، وتـزوغ عقولنـا والأبصـار، نتوهـم أننـا نسـمعهم أو نبصرهـم، تنتابنـا نوبـات الضحـك الشـديد والبـكاء الشـديد في نفـس الوقـت، نضـع أيدينـا فـوق أماكـن اللمسـات والقبـلات نتحسسـها بشـدة، وحـين تشـتد نوبـة الاحتياج، نهـرع إلى ملابسـهم نتشـمم رائحتهـم ونحتضـن أشـياءهم، ثـم نبكي وننـام.

لا يمكـن للإنسـان أن يـترك حياتـه ومصـيره، كورقـة صفـراء ضعيفـة مُعلقـة في طـرف غصـن هزيـل، تذهـب بـه الريـاح وتـأتي، حتـى تتخـذ الشـجرة قـرارًا أهـوج بالتخـلي عنـه، وتلقيـه تحـت أقـدام العابريـن، دون أن تهتـز لأصـوات التحطـم الصـادرة عـن دهـس الأوراق التـي سـبقته. لـذا، قـررتُ في أكـثر اللحظـات

مصيرية في حياتي، أن أذهب إليها وأستعيدها، لن أتركها لوغد خادع يسرقها مني.

رأيتها وهي خارجة مُسرعة من باب مكتبها، حينما وصلتُ إلى سيارتها كانت قد انطلقت. ولو... لن أتركها اليوم حتى وإن لففتُ وراءها الكرة الأرضية من قطبها الجنوبي إلى شماليها، عدتُ إلى سيارتي وتعقبتها. لستُ متأكدًا أنها رأتني في مرآتها الأمامية، فهي دائمًا تأتي عندي وتصبح عمياء بجدارة، لا تكاد تبصرني وإن أصبحتُ طول الجبل وعرض البحر.

توقّفتُ أمام بيت لا أعرفه؛ ڤيلا صغيرة في مكانٍ هادئ متطرف، محاطة بمجموعة ڤيلات مشابهة، تكاد تبدو مسكونة، ولا يصدر عنها أثر لبشر.

فتحت باب الڤيلا بالمفتاح! هل تمتلك سميرة هذه الڤيلا دون أن أعلم؟ أم هو بيت عشيقـــــ..

هذا الطبيب الجاهل! قال إن الكتابة ستنجح، وها أنا تعطَّلتُ في كلمة واحدة من القصة الكاملة. كيف لم يخطر بباله أني لن أقوى على كتابة كل الحقائق!؟ كيف لم يتصور أن وصف الأمر على حقيقته المجردة أصبح أمرًا أقوى من قدرتي؟ أيعجز كل الطب النفسي بأطبائه ومعالجيه وعقاقيره، أن يجعلني أستوعب ما جرى لي وما أنا فيه الآن!؟

خَرَجَتْ سميرة بحالٍ غير التي دخلت، وإلى جوارها شاب أبيض نحيل، يسير بالقرب منها كأنه على استعداد لأن يلتقطها ويسندها إذا سقطت على الأرض. كانت تسير ببطء شديد

t.me/qurssan

وبعينين دامعتين، توجَّهتُ إليها ببطء مماثل، وتوقفتُ أمامها مباشرة، فتسمَّرت مكانها كأن لم تتوقع رؤيتي:

- نعم؟

- عايز أتكلم معاكي شوية... لو سمحتي.

- (حاولت المرور من جانبي دون أن تنظر إلي فأمسكتُ ذراعها بقوة) سميرة مش هسيبك. أرجوكي لازم نتكلم مينفعش كل حاجة تخلص كده.

- (نظرت إلي بهدوء، وابتسمت حينما وقعت عيناها على شعري المُصفف بعناية كما تُحب، ولحيتي المضبوطة على الطول الذي تُفضله)... لأ براڤو. الاجتهاد واضح. بس معلش مفيش نصيب.

- أنا لسه بحبك، ومش قادر أعيش من غيرك، ارجعيلي وأنا هسامحك، هنسى كل اللي حصل، أو يعني هحاول أنساه وانتي هتساعديني، ونبتدي حياة جديدة، هعملك فيها كل اللي تحبيه. بس ارجعيلي.

- (انفعلت فجأة كمن فاض به من شحاذ يلاحقه) يا أخي إنت إيه؟ جبلة؟ حيوان؟ مش راجل؟ بقولك أنا مبحبكش، خلاص مش قادرة ألمسك ولا أشم ريحتك، ولا أتصورك قدامي ف أي مكان. خليي عندك كرامة بقى وسيبني في حالي.

- (صمت قليلًا غير مصدق، لأن هذه التي تقف أمامي كانت يومًا زوجتي) حاضر، هفارقك ومش هتشوفيني تاني،

بس والله يا سميرة وحياة بنتنا ما هيحبك أكتر مني، ولا هيحفظك قدي، أنا حافظك زي كف إيدي دي، أقولك بتتقلبي كام مرة بالليل وانتي نايمة؟ أقولك دراعك ده فيه كام حَسَنة وأماكنهم فين؟ أقولك بتغيري من أنهي صباع ف رجلك؟ أقولك لما بتزعلي بتطرقعي صوابعك قد إيه؟ أقولك إيه ولا إيه يا سميرة!؟ روحي يا شيخة... حتى الدعوة مش قادر أدعيها عليكي.

لا أعرف كيف ومتى تصلَّب قلبها إلى هذا الحدِّ؟! أين كنتُ حين تعرَّفت إليه وأحبَّته إلى هذه الدرجة؟! أكنتُ ألفها بذراعي كل ليلة وهي تتخيلني آخر؟ أكانت تقابله في شركتي وربما في بيتي، وأنا مُعمًّى القلب والعينين!؟ يقولون إنه لا جرم كبيرٌ على التسامح، وإن القلب النقي يمكنه أن يغفر أي شيء. أنا لن أفعل يا سميرة، لن أسامحك ولن أغفر ولن يصفو لكِ قلبي، حتى وإن لم يستطع لساني أن يدعو عليك بأي سوء.

كان صراخ نور هذه الليلة أعلى ما يكون، لأنني أنا أيضًا كنتُ داخل غرفتي أصرخ وأسبُّ الكرسي الفارغ وأضربه بكل قوتي. نور تصرخ ووالدة سميرة تخبط الباب بقوة، لا أعرف كيف استطاعا الدخول إلى الغرفة، لكنني سمعتُ صوت الطبيب النفسي، وشعرت بيدين تدفعانني إلى السرير وشكة الإبرة تدخل في ذراعي، بينما أنا مُقيَّدٌ ولا أرى من يقيدني، حتى أظلم المدى الذي تبصره عيني.

t.me/qurssan

محجوب إبراهيم (12 يونيو)

هل هذا ذنب سامية؟ هل هذا حبها الذي سحقتُه بقدمي وذنب الصبيين الصغيرين؟ لم أتوقع يومًا أن أسمع من إسماعيل تلك الكلمات التي ألقاها في أذني مساء عدتُ من بيروت. كانت المرة الأولى التي أزور فيها بيروت بعد علاقتي بسميرة، وأنا أعلم جيدًا ماذا تعني لبنان بالنسبة إليها. عدتُ محملًا بمستحضرات التجميل التي تفضلها، وأنواع البخور والخمور... غريبة هي تلك المرأة؛ يمكنها أن تشرب الڤودكا على رائحة البخور، وأن تحمل بإحدى يديها سكينًا لتقتل إنسانًا، وفي اليد الأخرى تحمل مسبحة!

كان استقبالاً باردًا من إسماعيل بعد غياب شهر، وهو الذي لم يعتد فراقي في الآونة الأخيرة مُطلقًا، خاصة بعد أن انتقلنا جميعًا للمعيشة معه في بيته، وتركت شقتي الكبيرة

بالـ "مهندسين" لسامية وأولادها حتى تتدبر أمورها. ما إن انتهيت من حمامي، طلب إسماعيل من الجميع أن ينصرفوا إلى غرفهم، لأنه يريد أن يناقش معي تفاصيل الرحلة. لم يبدُ على ملامحه أي اهتمام بالرحلة، ولا بما فعلتُ وما لم أفعل. وبعد عدة أنفاس التقطها من سيجارته، سألني إن كنتُ فعلًا أحبُ سميرة وأنوي الزواج منها!

كان سؤالًا غريبًا في توقيته وطريقة إلقائه، أيسألني الآن إن كنتُ أحبها بعد كل ما حدث بيننا؟ حينما أجبت إجابة نمطية تقليدية، بأنني أنتظر زواجنا بفارغ الصبر، اعتدل في جلسته وأطفأ السيجارة التي لم يُكملها، ثم نهض واقفًا. سألته بتوجُّس إن كان مكروه قد أصابها في غيابي، ولم يكن يخطر ببالي ما سيقول.

- إنت عارف يا محجوب إن الحب ده هبة من هبات ربنا للبني آدم، لكن ساعات النفس البشرية الوسواسة بتلعب بالهبة دي وبتخليها تحود عن طريقها شوية.

- يعني إيه؟ مش فاهم.

- الموضوع باختصار إنك لازم تهتم بسميرة جدًا جدًا. وتوريها منك الحب والتدليل اللي في الدنيا كله، بس مش بسهوكة وحسوكة و"جلع" زي ما بيقولوا في الصعيد. انشف عليها وخليك راجل قدامها، بس راجل حنين ومراعيها.

- إيه اللي حصل؟

t.me/qurssan

- بصراحة شديدة سميرة جتلي من كام يوم وكانت حالتها سيئة جدًّا، باكية ومابتنامش ومتبهدلة ع الآخر، وطلبت بوضوح إنها تفسخ علاقتها بيك. وكان واضح من كلامها، أو يعني هي قالت في وسط كلامها إن فيه راجل تاني تحب ترتبط بيه، لكن متقلقش أنا فهمتها إن طاقة الحب اللي جواها اتوجِّهت غلط، وأنا واجبي إني أعيد توجيهها. وهي نزلت من هنا عارفة وفاهمة إنها خلاص مش هتتجوز حد غيرك، وملهاش عيشة مع راجل تاني. هي كمان هتبذل مجهود عشان تعيد توجيه طاقة الحب جواها للشخص اللي يناسبها، إللي هو إنت.

- مين الراجل التاني؟

- مش مهم. إللي ليك خلاص عرفته، أكتر من كده يبقى تعدي على أسرارها هي.

- أنا مُصر أعرف، ومن حقى تقولي...

هل أكون وقعتُ بين امرأتين بهذا التناقض، أخون واحدة وتخونني الأخرى؟ يمكنني أن أصرف نظري عن زواجي من سميرة في الحال، لكن ذلك سيغضب إسماعيل، وأنا لا طاقة لي بغضبه. هل أغضبه بعدما تغافل عن مواعيد تسديد إيصالات الأمانة ولم يقدمها إلى النيابة؟ وإن اعتبر عدم زواجي من سميرة مخالفة لأمر من أوامره، فإنني لن أبيت تلك الليلة في الفيلا ولا حتى في الشارع، هذا إن عاملني "رسمي"، أما إذا عاملني بنفوذه في الجهاز، فلن أبيت الليلة من الأساس، ولن يطلع عليَّ صباح.

لا بـأس يـا سـميرة، لا بـأس. فلتفعـلي مـا تشـائين حتـى تأتـين تحـت إمـرتي وتحـت ضرسي.

t.me/qurssan

حبيبة سعد (18 يونيو)

كنـــتُ بصحبـــة "عـــلي" نتنـــاول الغـــداء في مطعمنـــا المفضـــل بالزمالـك؛ نتسـامر ونتبـادل حكايـا مـن هنـا وهنـاك. حـين ينظـر في عينـي بعمـق، أشـعر كأن الشـمس فـوق رأسي، وحـين أهـرب بعيوني ثـم أعـود إليـه، أجـد عينيـه تمرحـان عـلى جسـدي تتفحصـه. لم أشـعر منـه بشـهوة حيوانيـة مبتذلـة، بـل كان حبًـا رائقًـا ورغبـة حقيقيـة في حفـظ تفاصيـلي، كأننـي أخصـه بـكل ذرة فيَّ. حينـما كان يفتعـل المواقـف ليلمـس يـدي، كنـتُ أرتجـف وأسـحبها خجـلًا لا رفضًـا.

كان يومًـا كالحلـم، غـير أن عـلي يتغـير أحيانًـا كأن عفريتًـا قـد تلبَّسـه. كلـما يـرنّ هاتفـه يتوقـف عـن الطعـام وينتفض مـن جواري إلى بعيـد، يقـضي مكالمتـه همسًـا ولا يـكاد يلتفـتُ إلي إلا بطـرف عينـه، شـعرتُ أن ثمَّـة امـرأة في الأمـر، أشرتُ إليـه بـأني متجهـةٌ

إلى دورة المياه وأومأ إلي برأسه، وما لبث أن استدار وأعطاني ظهره، حتى اقتربتُ منه بخطوات سريعة وتظاهرتُ بأني تعثرت ووقعتُ بين ذراعيه، اقتربت أذني من الهاتف، وسمعت صوتها، نعم، هي امرأة، امرأة يناديها في الكلام بـ "عُمر"، سمعتُها بأم أذني تقول شيئًا بصوتٍ عالٍ، وكأنها منفعلة أو متحمسة. لم أتبين أي كلمة في تلك اللحظة الخاطفة، لكن لا يُمكنني أن أخطئ صوت أنثى حين تتحمس. أنثى اسمها عمر!

خرجتُ من المطعم بمشاعر أخرى غير التي دخلتُ بها. ذبلت ملامحي فجأة وشاخ وجهي، فلم أستطع الابتسام أكثر من إمالة خفيفة بشفاهي. هل كانت له علاقة ما قبلي وهو الآن ينهيها، أم أنها علاقة عابرة وسيصارحني بها، ثم يبكي أمامي فأسامحه ولا يعود إلى مثلها؟ هل تحبه أم تتلاعب به؟ وماذا عنه؟ وأنا... ماذا عني؟

حين تُحدِّثك الظنون داخل رأسك، لا يسعك إلا أن تسمع، فلا هي تسكت ولا هي تأتيك بالحقيقة واليقين. خيالات تتولد عن خيالات تنال منك قدر استطاعتها، وقدر استسلامك، ولكني لم أكن يومًا بهذا الضعف، أنا سيدة الموقف على دوام حياتي، سيدة قراري واختياري.

- ألو... علي، سؤال من فضلك، مين عمر إللي كنت بتكلمه النهاردة واحنا بنتغدى؟
- ...
- علي... أنا بتكلم.

t.me/qurssan

- أيوة أنا معاكي. عمر ده واحد صاحبي هبقى أحكيلك عنه في الوقت المناسب.

لم أفكر في رد فعل لهذه الأكذوبة التي توقعتُها بالطبع، حينما أغلقت سماعة الهاتف في وجهه، لم يكن ذلك رد فعل مناسب، لكنني لا أفضِّل دخول الحرب الخاسرة، حينما نحارب، إما نحارب بشرف وعلى أرضٍ تستحق، وإما نترك الأرض لمن يحتلها إن كانت لا تستحق عناء الحروب من أجلها، علي يكذب ولا يستحق... وأنا لن أحارب لاكتسابه!

لم يأتِ إلى العمل في اليوم التالي، ولم يحاول أن يهاتفني، لكنني وجدته يستند إلى سيارتي في "الجراچ"، ركبتُ السيارة وأغلقت بابي خلفي. ركب إلى جواري دون أن يستأذن، لم أنظر إليه ولم أوجه إليه كلمة. أخرَجَ هاتفه واتصل برقم ما وفتح مكبر الصوت، كنتُ أسمع جرس الهاتف يرن، قلبي يخفق بشدة ولا أعرف السبب، فوت مطلع الكوبري المؤدي إلى طريق منزلي. الهاتف ما زال يرن، ثم أجابت امرأة، إنها هي! ذات الصوت المنفعل الذي سمعتُه بالأمس، والغريب أن ناداها علي بنفس الاسم، عُمر!

- ألو... إزيِّك يا عمر أخبارِك إيه؟

- الحمد لله تمام يا عمر. إنت فين؟

- أنا بتحرك معاها من الزمالك.

- طيب يلا مستنيينكم.

- تمام يا عمر، يلا سلام.

- سلام.

كلاهـما نـادى الآخـر "عمـر"! المـرأة عُمـر والرجـل عُمـر، ربـاه مـا هـذا الهـراء؟ هـل هـذه الكامـيرا الخفيـة أو أحـد برامـج المقالب السـخيفة التـي يفعلهـا الرجـال في زوجاتهـم مثـلا!؟ هـل هـذه خطـة مـن عـلي لأشـك في قـواي العقليـة كـما فعـل محمـود يـس مـع سـعاد حسـني في "أيـن عقـلي"؟ لم أُعلـق عـلى المكالمـة، وتُهـت تمامًـا في أفـكاري المرتابـة إلى أن بـدأني هـو بالحديـث.

- الشمال اللي جاي عشان ناخد الكوبري.

- ده مش طريقي.

- هفهمك كل حاجة بس خدي شمال.

أُسرعـتُ مـن قيـادتي لأصـل إلى وجهتـي دون أي انتبـاه لمـا قالـه عـلي لتـوِّه، تنهَّـد بصـوت مسـموع ثـم قـال لي بنـبرة رجـاء:

- طيب اقفي هنا، هشرحلك كل حاجة.

t.me/qurssan

ناديا (30 يونيو)

لم يكـن زواجـي مـن إسـماعيل وانضمامـي إلى هـذه المجموعـة ذات التدريبـات الاسـتثنائية ذا ثمـن بخـس. دفعـتُ مقابـل الـشرف والمجـد الـذي أحظـى بـه في مهمتـي القادمـة، التـي لا أعـرفُ عنهـا شـيئًا حتـى الآن. منـذ زواجنـا لم أكـن أذهـب لزيـارة أمـي وأبي بشـكل منتظـم، كـما هـو الحـال مـع المتزوجـات حديثًـا، وبالطبـع لم يكـن مسـموحًا لهـما بزيـارتي، بحجـة أن زوجـي لا يحـب الزيـارات العائليـة بشـكل متكـرر.

كيـف أسـتقبل أحـدًا مـن أسرتي في هـذا "الإسـطبل" الـذي نعيـش فيـه جميعًـا!؟ كيـف سـأقدِّم كل هـؤلاء الشـباب والشـابات إلى إخـوتي!؟ وكيـف يسـتقبل أهـلي أننـي أحيـا في بيـت الزوجيـة مـع غربـاء؟ هـم في الحقيقـة ليسـوا غربـاء، هـذه الڤيـلا الطويلـة العريضـة اشـترتها سـميرة، بعدمـا أخبرهـا إسـماعيل أن التدريبـات لا

بـد أن تتـم في مـكان بعيـد عـن الأعـين والأسـماع، وأن سريـة المهمـة لـن تسـمح بـأن يشـتري هـو الڤيلا عـلى حسـاب الجهـاز الأمنـي. إذًا أنـا أعيـشُ في "ڤيلتهـا" وأركـب سـيارتها، وأشـتري ملابـسي وملابـس ابنتـي القادمـة مـن أموالهـا التـي لا "تخلـص ولا تختـل" حسـب وصـف إسـماعيل. فكيـف لهـا إذًا أن تحبنـي!؟ ألمـس مشـاعر كراهيتهـا الواضحـة لي، ولا أرى لذلـك سـببًا، غـير أنني أعيـش أنـا وزوجـي بأموالهـا، لكننـي لسـتُ الوحيـدة هنـا، نحـن جميعًـا نسـكن نفـس البيـت، ونحيـا نفـس الحيـاة. فَلِـمَ تكرهنـي أنـا "بالـذات" مـن بـين الجميـع!؟

حاولـتُ أكـثر مـن مـرة أن أعـبر لهـا عـن امتنـاني لما تفعلـه للمجموعـة، مـن تفـانٍ وإخـلاص وإنفـاق، لكنهـا كانـت تتقبـلُ ذلـك عـلى أني سـلطانة المنـزل، وأننـي أثنـي عـلى أدائهـا كإحـدى العامـلات في حرمـي، لا التجاهـل ينفـع معهـا ولا التـودد. هـي لم تقـلْ ذلـك مـرة لكننـي امـرأة، أشـم رائحـة هرمونـات المـرأة مـن غـيرة أو نفـور أو غضـب... وأنـا أرى سـميرة تنظـر إليَّ وعيناهـا تشـعان حـرارة حمـراء، وأكاد أرى لسـانها يخـرج مـن فمهـا، لسـانًا رفيعًـا وطويـلًا ومشـقوقًا مـن المنتصـف، لسـانًا يتحـرك إلى أعـلى وإلى أسـفل ويمتـد ناحيتـي. هـي تتعمـد التعليـق عـلى مظهـري أمـام زوجـي بتعليقـات سـلبية سـخيفة: "اللـون الأحمـر مـش حلـو في شـعرِك أوي"، "تفتكـري هتعـرفي تخـسي كل الـلي تخنتيـه ده بعـد الـولادة؟".

كانـت التسـاؤلات تلـفُّ بـرأسي ذات نهـار، وبينـما أقـف عـلى سـجادتي أصـلي العـصر، شـعرتُ بمـاءٍ خفيـف يتسـرَّب بـين سـاقيَّ،

t.me/qurssan

اعتقدتُ أن علي الذهاب فورًا إلى دورة المياه، لكنني لم أستطع التحرك، زادت المياه بأكثر من قدرتي على الحركة، صرختُ بصوتٍ جمع كل من في الفيلا. تأرجحت انفعالاتي بين الصراخ والضحك حتى جاء إسماعيل، قلت له وأنا أقهقه من الضحك وعيني مبللة بالدموع، وساقي مبللة بماء الولادة "أنا تقريبًا بولد... مش متأكدة".

صرخ إسماعيل فيهم جميعًا "امشي يا حيوان منك له حضَّروا العربية... بسرعة"، كانت سميرة في هذه اللحظات ممسكة بيدي، وتتجه بي إلى دولاب ملابسي، أحضرت لي فستانًا طويلًا وحقيبة الولادة المُعدة مسبقًا، وحقيبة حاجياتي الشخصية، ثم هاتفت الدكتورة التي لحقت بي إلى المستشفى. كنتُ أتمنى أن أرى أمي قبل الولادة، كنت أتوق سماع صوتها، وأن أستمد منها قوة تناسب اللحظة، لكنه رفض. ماذا فعلتْ تلك المُسِنَّة المسكينة كي تُحرم من رؤية حفيدتها الأولى لحظة ولادتها؟ ماذا فعلت كي أعاملها كالغرباء، وأخبرها بعد الولادة بثلاثة أيام كاملة!؟ ماذا كان ذنبُها الذي يعاقبها الإله عليه بإقصائها عن حياتي على هذا النحو؟ أشتاقكِ الآن يا أمي، أشتاقُ الشعور بأصابعك المرتعشة وجلدك المتغضن الرقيق، يربتون على يدي وعلى وجهي الخائف المرتعش، أشتاق دموع الفرحة في عينيكِ، لكنني بدلًا منها رأيت دموع العتاب، ولم أستطع حتى الاعتذار، فأي عذرٍ سأقول!؟

حين علمت أمي بالولادة بعد ثلاثة أيام، حضرت إلى الفيلا على الفور. كانت تظنُّ خطأ أنها ملك زوجي، ولم تكن تعرف

بالطبـع عـن "الجرمـأ" الـذي يعيـش معنـا تحـت سـقفٍ واحـد. ارتبـك إسـماعيل حـين نظـر مـن الشـباك ورآهـا أمـام البـاب، تقـف بسـيارتها تنتظـر أن يُفتـح بـاب الجـراج. لم أُصـدِّق للحظـات أن الـذي يـؤلم خـدي الأيـسر الآن، هـو أثـر اللطمـة التـي لقيتُهـا لتـوِّي مـن إسـماعيل، وأنـا بعـدُ مـا زلـت "نَفَسـة"! كانـت هـذه اللطمـة هـي الصـدعُ الأول في الجـدار.

جَمـع أفـراد المجموعـة الموجوديـن في الڤيـلا بسرعـة، وحبسـهم في إحـدى الغـرف، وأمـر سـميرة أن تهاتـف الباقـين وتأمرهـم بعـدم العـودة إلى المنـزل، إلا بعدمـا تتصـل بهـم مـرة أخـرى. وكأنـه أصبـح إنسـانًا غـير الـذي لطمنـي منـذ قليـل؛ كان شـديد الأدب مـع أمـي، يعاملهـا بلطـف أقـرب إلى التذلـل، ولا يرفـع صوتـه أعـلى مـن صوتهـا، ولا يضـع سـاقًا فـوق أخـرى أمامها. صنـع لها فنجـان القهوة بنفسـه، وحـاول أن يقنعهـا أن تبيـت معنـا الليلـة ويضغـط ويلـح في الطلـب، حتـى كادت المسـكينة أن تستسـلم، وأنـا أنظـر إليـه غـير فاهمـة ولا مصدقـة لمـا يفعـل. وحـين انصرفـت أمـر سـميرة أن تأخـذ "مريـم" ابنتـي، كي تقـضي الليلـة في غرفتهـا، وأن ترضعهـا لبنًـا صناعيًـا كلما جاعـت، كي أبيـت أنـا ليلتـي محرومـة مـن حضـن ابنتـي الوليـدة، عقابًـا لي عـلى مجـيء أمـي دون اسـتئذان. كانـت هـذه أولى علامـات الجُـبن التـي رأيتُهـا في إسـماعيل.

t.me/qurssan

باسم (7 يوليو)

مـات أبي. كان مـن المفـترض أن أودعـه الـوداع الأخـير. مـات الرجـل السـند في حيـاتي، ولم أُسـبل أنـا عينيـه وأربـط فَكَّيـه إلى رأسـه. كنـتُ أعلـم أنـه في أيـام التسـليم، ورغـم ذلـك لم يوافـق إسـماعيل عـلى سـفري لقضـاء هـذه اللحظـات إلى جـواره.

كنـتُ صغـيراً حينـما ضرب أبي أحـد جيراننـا في البلـد مـن أجـلي. كنـا نلعـب أنـا وابـن ذلـك الجـار المتغطـرس، وكان الولـد يحمـل مسـدس خـرز، حينـما كان هـذا المسـدس هـو أحـدث ألعـاب العـصر. صـوَّب نحـوي، وأنـا لم أصـدق أنـه سـيضرب في اتجاهـي، لكنـه ضرب. أصابـت الخـرزة قرنيـة عينـي، وصرخـتُ حتـى التـف حـولي أهـل الشـارع كلهـم، وكان معظمهـم مـن أولاد عمومـة أبي. حملـوني جميعًـا إلى المسـتوصف، وحـين قـال الطبيـب أن عينـي بهـا شرخ وأنـه سـيربطها لمـدة أسـبوعين بالقطـن والشـاش، تركنـي

أبي مـع أقاربـه وخـرج مسرعًـا مـن المسـتوصف. ذهـب إلى بيـت الرجـل وأخرجـه مـن بيتـه إلى وسـط الشـارع، وأوسـعه ضربًـا حتـى خلَّصـه النـاس مـن بـين يديـه. ثـم أقسـم أبي أن يكـرر لـه "علقـة" مماثلـة عـن كل يـوم لا تـرى عينـي فيـه النـور. فمـن يحمينـي مـن العـالم بعـدك يـا أبي!؟

المجموعـة هنـا تحتاجنـي أكـثر مـما كان أبي. إسـماعيل عـلى حـق: الجنـدي لا يـترك مكانـه لأي سـبب، ولا بـد أن يكـون جاهـزًا للحـرب، وفي الحـرب لا ينظـر المحـارب خلفـه؛ لا إلى أبيـه ولا إلى ابنـه.

ورغـم تمثـلي التعليـمات واسـتمراري في تدريـب "فوزيـة"، فإنـه ليـس لي وجـود مؤثـر في الڤيـلا عـلى الإطـلاق. أنـا فقـط أعـدُّ نفسي مـن المقربـين مـن إسـماعيل، وهـذه مكانـة لـن أفـرط فيهـا أبـدًا. الجميـع ينظـرون إلي باحتقـار وإهـمال. كنـتُ أنـا أصغرهـم سـنًّا، وهـذا جعلهـم يحتقروننـي ويسـتصغرونني أكـثر مـما تخيلـتُ، رغـم تفـانيَّ في خدمتهـم لكسـب رضاهـم؛ أكشـف عـلى هـذا وأكتـب العـلاج لهـذه، وأتابـع حالاتهـم الصحيـة جميعًـا، بخـلاف مـا أدفعـه مـن راتبـي مـن العمـل الليـلي، ولا شيء يجعلهم يشـعرون بوجودي.

أكاد أتمـزق بـين هـذه المجتمعـات الثـلاث: أسرتي المُنفِّـرة التـي أشـعر بالحـرج مـن الانتـماء إليهـا، ولا أكاد أذكـر شـيئًا عنهـا بـين زمـلائي، ومجتمـع المستشـفى الـذي أجـد صعوبـة بالغـة في إثبـات نفسي بداخلـه رغـم شـطارتي المهنيـة، كل شِـلَّة منغلقـة على نفسـها ولا أسـتطيع الانضـمام إلى أيِّهـم. أصـلُ تمامًـا في موعـد عمـلي، وأغـادر المـكان بعـد أن أنتهـي مباشرة. أتمنـى لـو يدعـوني أحدهـم

t.me/qurssan

للجلوس في كافيتريا نتحدث في أي موضوع، ولكن لم يحدث مرة أن جلستُ مع أحد ولا أصبحتُ صديقًا لأحد.

وفي مجتمعي الثالث: الڤيلا، لا يكاد أفراد المجموعة يتذكرونني أبدًا. إذا قام أحدهم ليحضر لنفسه طعامًا أو يصنع كوبًا من الشاي، سأل الباقين إذا أرادوا الانضمام، ويسقطونني جميعًا من حساباتهم، كأنني شفاف إلى هذه الدرجة.

أفاجأ أحيانًا حين عودتي إلى الڤيلا أن بعضهم خرجوا للتمشية أو للجلوس على أحد المقاهي، بعيدًا عن مراقبة إسماعيل المُحكمة، ولكنهم لم يتعرضوا لي ولو بـ "عزومة مراكبية" ما إذا كنتُ أرغب في مصاحبتهم. لا يجدي معهم التفاني والإخلاص الذي أعاملهم به. أغسل ملابس فلان وأنشرها وأكويها له، أحضر وجبة ساخنة لفلانة وأحملها إليها في غرفتها، أذهب إلى السوق أو "السوبرماركت" لشراء احتياجات البيت ومستلزماته، حتى الفوط الصحية التي تستخدمها فتيات المجموعة. كل هذا وأنا بين المذاكرة والعمل والمطبخ من صباحيتها إلى مساها.

الوحيد الذي أعارني اهتمامًا في بداية معرفتي به هو إسماعيل، ثم خَفُت هذا الاهتمام رغم جلسات التدليك والمساج. كعوب أقدامه الخشنة لا تلين إلا بين أصابعي. وآلام ظهره وكتفيه لا تزول إلا بالحمام الساخن المليء بالزيوت المهدئة، حيث تستخرج أصابعي والماء الساخن تلك الآلام، فيخرج هو من الحمام هادئًا كما ولدته أمه.

t.me/qurssan

سميرة (19 يوليو)

أصبحتُ الآن بلا عمل. ألغى سيد توكيل إدارتي لشركة الديكورات التي أسسها لي، واشتريت بجزء كبير من مدخراتي هذه الڤيلا التي يسكنها إسماعيل والمجموعة، والتي أقوم بتنظيفها كل يوم حتى جفَّ جلدي، وعرفتني آلام الظهر والساقين.

أكاد أنسى النسخة القديمة منِّي، سميرة هانم العرباوي الوجه المعروف لدى معظم صالونات التجميل في القاهرة. أغيِّر تسريحة شعري كل أسبوع، وأجد دائمًا من يعتني بأظافري وقدمي. أدخن سيجارتي وأشرب فنجان القهوة، بينما يتحرك العاملون حولي كالنمل، يمررون أناملهم الرقيقة على شعري ويدي وأظافري. أتذكر هذا الآن، بينما تقبع أصابع قدمي تحت تدفق المياه الممزوجة بالكلور والديتول، وأجرُّها أنا بـ "مسَّاحة"

يدوية إلى داخل دورة المياه. لا أستشعر النظافة إلا عندما تحرقني أنفي بأثر روائح المنظفات، ولا يهنأ بالي إلا بعدما ألمِّع بنفسي اللوحات المعلَّقة وزجاج الشبابيك والبلكونات، وأغيِّر ملاءات الأسرة. أرتِّب غرفة إسماعيل الشخصية، حيث إنه ترك الغرفة لناديا وللصغيرة، كي يتخلص من نوبات البكاء في الليل.

لم تطلب مني ناديا أبدًا الدخول إلى غرفتها أو مشاركتها في شئون صغيرتها "مريم". كنتُ أختلس اللحظات لأحملها وأحتضنها، أبحث فيها عن رائحة ابنتي "نور" وبراءتها، أتذكر ملابسها الصغيرة حين كانت في هذه السن. لكن ناديا تستأثر بأمومتها لنفسها وحدها. أمٌ أنانية لم تفكر أن هناك بجوارها أمًّا فقدت ابنتها! أنتظر بشوق اليوم الذي يأتي إلي فيه سيد راغمًا وقد فاض كيله من العناية بـ نور، ثم يتوسَّلُ إلي كي آخذها منه. كان بإمكاني أن آخذها معي بعد الطلاق، حتى رغمًا عن سيد، لكنني رفضتُ الحضانة حتى لا يشعر أنني منكسرة أمام أمومتي. هو سيأتيني بها قريبًا ويرميها أمامي. سميرة العرباوي لا يقهرها أحد ولا شيء، ولا حتى الأمومة.

علاقتي بمحجوب أيضًا ليست على ما يُرام، منذ أن عاد من بيروت وأنا شبه أطارده لنحدد ميعاد زواجنا. أجده دائمًا ينظر إلي في صمت وتأمل، ألتفت فجأة لأجده ورائي، رغم أني لم أكد أسمع له صوتًا. يبحث عني في الفيلا طوال الوقت، من المطبخ إلى الغرفة إلى الجراج، لكنه لا يتبعني ككلب وفي، يتبعني بترقب لا أعرف سببه.

t.me/qurssan

وإسماعيل أيضًا، علاقتي به ارتبكت بعدما كشف لي حقيقة محجوب. أَكُلُّ هذا التغير معي يا محجوب، لأنني خسرتُ مصدر تكسبي الوحيد: سيد يوسف؟ ومَن كان السبب في أنني خسرته، أليس أنت؟ أليس حبي لك وتضحيتي ببيتي وزواجي وابنتي وأمي؟ أكنتَ تريد مني التضحية بكل ذاك، مع الاحتفاظ بعشرات آلاف الجنيهات تدخل جيبي كل شهر!؟ هل تبدو الحياة بهذا الظلم ياربي، أبيع حياتي وابنتي من أجل رجلٍ أحببته بصدق، فيخذلني الحب بهذه القسوة!؟ لا يمكنني الرهان على خسارة، لن أنتظر حتى يتركني محجوب إلى أخرى ما زالت خزينتها ملأى. ربما الآن هو التوقيت المناسب لتنفيذ خطة إسماعيل، والبحث عن مصدر جديد للتمويل، يربط قلب محجوب "بفردة" حذائي إلى الأبد، ويدبُّ قلبه أينما تدب قدماي.

عندما أحببتُ لأول مرة في حياتي، كان شابًا وسيمًا ثريًّا، التقت عينانا في نفس اللحظة تقريبًا، ثم تظاهرتُ أنا بلا مبالاة لنظراته المُتسللة ناحيتي. لا أعرف كيف استدرجني لصداقته ثم للوقوع في حبه على هذا النحو، ثم الزواج منه دون تردد. فرقٌ كبير بين طريقة كل منهما في الحب: سيد ومحجوب؛ الأول تغلبه رومانسيته وكلامه الناعم، كان يقضي طوال النهار يستثير مشاعري، ليأتي عليَّ المساء بين أحضانه، رغم أنني زوجته ولا يحقُّ لي الرفض. بينما الثاني كان يفرض يديه وشفتيه على جسدي، رغم أنني لم أكن زوجته بعدُ، كان يخطفني حتى

مـن تفكـيري في الرفـض أو القبـول، كان يُنفِّـذ رغبتـه كأنـه الطـرف الوحيـد في المعادلـة.

والآن يـا محجـوب، سـأجعلك تحـنُّ إلى تلـك السـاعات التـي كنـت تقضيهـا في انتظـاري، سـأجعلك تنفِّـذ وعـودك بـأن تـشرب الفـودكا في حـذائي، كـما فعـل عـادل أدهـم لميرفـت أمـين، سـأجعلك تتلهـف أن تلفنـي ذراعـاك ولا تجـدني. بيننـا الأيـام يـا محجـوب... بيننـا الأيـام.

t.me/qurssan

حبيبة (20 يوليو)

ارتجف قلبي منذ دخلتُ المكان. لفتني ذلك الكم الكبير من اللوحات التي تغطي معظم الحوائط، بحيث لا تترك مساحة فارغة لعيني كي تقع عليها. ولفتني أكثر كم الصور الفوتوغرافية التي تخص هذا الشخص وحده، وكأنني دخلتُ معرضًا خاصًّا بصوره فقط. انقبض قلبي حين رأيت صورته الكبيرة المظللة على طريقة السيلويت، والتي ضخَّمت ملامحه الكبيرة بالفعل إلى ثلاثة أضعاف تقريبًا، ظننتُ أنني وقعت في إحدى مجموعات عبدة الشياطين، ولا أدرى لذلك الشعور تفسيراً، غير الغموض المُسيطر على المكان، استدرت إلى الباب وهممت بالخروج لكنها استوقفتني.

سيدة أنيقة ذات ابتسامة عريضة مشوبة بشيء ما، سلَّمت علي بترحاب شديد، وجلست معي حتى يأتي إسماعيل، لكنها

انتفضت من مكانها، كأن أظافر فأر تنغرس في ظهرها، غابت قليلًا ثم عادت بفوطة وبخاخة ديتول، مسحت بهما بعض رماد السجائر المتناثر فوق منضدة بيضاء صغيرة، ونظرت بغلظة نحو علي الذي دافع عن نفسه سريعًا "والله ما أنا". ثم مرَّت بالفوطة على كل اللوحات المُعلَّقة على الحائط، عاودني الإحساس بأنني داخل مستشفى مجانين، أو أن علي "يعمل فيَّ مقلب" يظنه ظريفًا. وبمجرد خروجها من الغرفة عزمتُ على ألا أعود إلى هذا المكان مرة أخرى. فشكلها أقرب إلى سيدة مجنونة تخفي ذلك الجنون تحت شعرها المنضبط وملابسها الغالية وعطرها النفاذ. بالتأكيد هي ليست سيدة سوية بحال. أدركتُ بحس الأنثى أن وجود علي هنا، ربما سيحول دون إكمال علاقتنا.

عند عودتها كان بصحبتها شخص طويل الهيئة عريضُها، ضخم الوجه، يلمُّ شعره إلى الخلف برباط أسود ويمسك في يده مسبحة، هو نفسه الشخص المتكرر في كل صور الحائط. جلستُ على كرسي صالون ظننته مريحًا وبعيدًا عن الكنبة، التي اعتقدتُ بحدسي أنه سيجلس عليها ليفسح لها مكانًا بجواره، وقد فعل. جَلَسَتْ بالقرب منه السيدة الأنيقة سميرة، كانت تتفحصني بوضوح، ثم أشارت إلي خلسة، بأن وَضَعَتْ يدها على شعرِها وغمزت، بما يعني أن أضبط الخصلة غير المهذبة من شعري، وعندما تجاهلتُها ظلت تكرر الحركة بشكل أكثر وضوحًا، حتى تلفت نظري إليها! رباه... أين أتى بي هذا المجنون "علي" وإلى من يقدمني؟!

t.me/qurssan

لم أتفهَّم بالضبط ما يقصد بخدمة مصر، وبكل التدريبات "السرية" التي سردها لتوِّه، هل هو متأكِّد إلى هذه الدرجة أني لن أبوح بها لأحد؟ إذًا هل أصبح لي ملف في أمن الدولة، وبناءً عليه تم اختباري واختياري لأنضم إلى هذا التنظيم؟

سألني إسماعيل عن أكثر الأشخاص قربًا إلي، وأكثر من أكنُّ لهم حبًا، وعن راتبي وفيم أنفقه، وما إذا كنتُ أعمل في مكان آخر، والألوان التي أفضلها وكمية الطعام التي آكلها في كل وجبة بالتقريب، ثم قال لي في انتهاء اللقاء: "أمك يا حبيبة، إوعى تحكي لأمك. الأم من حقها تخاف على ولادها طبعًا، لكن بردو هي مش هتفهم ولا هتستوعب احنا مين ولا بنعمل ايه. ولا فكرة الولاد والبنات إللي عايشين مع بعض في مدرسة واحدة، وبيتدربوا على حاجة مهمة بالشكل ده. إوعى من أمك يا حبيبة".

خرجت من هذه الڤيلا المشبوهة ومعي علي. لم أدرِ كيف قدتُ سيارتي ولا كيف عدتُ إلى البيت. بالتأكيد تحدَّث علي وهو جالس إلى جواري في السيارة، لكنني لم أسمع حرفًا واحدًا بعد ما قيل في تلك الڤيلا المُريبة. هل هو فعلًا رجل دولة ولا بد لي من مساعدته، أم أنه جاسوس مزدوج كالذين نسمع عنهم مؤخرًا؟ هل سأضطر إلى الانتقال إلى بيته، مثل هؤلاء الذين حدَّثني عنهم؟ وإذا رفضت، هل سيتم تصفيتي لأنني أصبحتُ على علمٍ بمكانهم السري، وتفاصيل تدريباتهم، وأسماء أعضاء التنظيم؟ هذا إن كانت الأسماء التي حدَّثني عنها حقيقية بالفعل، وليست مجرد أسماء حركية.

أسئلة كثيرة عكفت عليها في بيتي أسبوعًا، لا أكاد أبرح غرفتي، ربما أستطيع أن أتدبر أمري وأتخذ قراري. أسبوعًا كاملاً ابتعدت فيه عن علي وعن أصدقائي وحتى عن أمي. تبدو الفكرة في عمومها راقية وسامية، لكنها مشوبة بشيء ما غير واضح وغير مريح، لم أستطع التماسه، لكنني شممت رائحته في العطر الفوّاح الذي سبق دخوله إلى لقائي، وفي الجلسة الممتلئة التي يجلسها، وفي المسبحة الغالية التي يلفها بين أصابعه، والتي عرفتُ فيما بعد أن اسمها "سبحة كهرمان" ويصل ثمنها إلى أربعة آلاف جنيه.

بعد أخذٍ وردٍّ بيني وبين نفسي، قررت ألا أعود إلى هذا الوكر ثانية، حتى وإن كان فيه علي، حتى وإن كان فيه جنة الله في الأرض.

t.me/qurssan

بربنط

كنــتُ أنــا ذو ســبع ســنوات وإســماعيل ابــن اثنــي عــشر عامًــا، حينــما كان المشــهد كالتــالي:

ذهــب إســماعيل ليلعــب مــع ماهــر ابــن الضابــط، وينعــم بالضيافــة الدســمة التــي تقدمهــا أم ماهــر لأصحــاب ابنهــا، وبينــما أنــا وصلــتُ لتــوِّي لأنضــم إلى اللعــب، كــما اتفقنــا مســبقًا، رأيــتُ إســماعيل يخــرج مــن بــاب الــدار، راكضًــا ماســكًا حمامتــين صغيرتين، ولم يلتفــت إلي عندمــا ناديتــه. نــزل ماهــر مــن الــدور العلوي وســأل عــن إســماعيل، فــأشرتُ إليــه واصفًــا مــا حــدث. طــار إلى بيــت إســماعيل ليســترد فرخــي الحــمام وكنــتُ أنــا أســير خلفــه، حتــى وجدنــا إســماعيل في أرض خــواء قريبــة مــن بيتــه، يضــع فرخــي الحــمام في برطــمان زجاجــي كبــير، ووضــع تحتهــما بعــض الأوراق

الممزقة، ويبدو أنها مبللة بالجاز أو ما شابه، لأن النيران التي اشتعلت فيها لم تنطفئ.

نعم، كان إسماعيل ينظر إلى فرخي الحمام حَيَّيْن يتقافزان فوق الأوراق التي تشتعل تحتهما. ريشهما ينسلخُ من النيران، وجلدهما الأحمر الملتهب يظهر شيئًا فشيئًا.

جرى ماهر إلى البرطمان وفتحه موجِّهًا فوهته إلى أسفل، فسقط الحَمَامُ على الأرض يرتعش رعشاته الأخيرة، ثم سكنت الأجساد فجأة. رفع ماهر يده بالبرطمان وهوى بها على رأس إسماعيل، ثم قفز فوقه ودبَّ وجهه في الأرض حتى سالت الدماء من حاجبه. لم تسعفني قوتي البدنية لأن أحول بينهما، كان ماهر سمينًا وطويلًا وذا بنية عريضة قوية، فجريتُ إلى والد إسماعيل الذي كان جالسًا على الدكة الخشبية أمام البيت، يمسك السيجارة بيده اليمنى، وكوب الشاي الزجاجي الممتلئ حتى نصفه في اليد اليُسرى. همهمتُ له بما حدث ولم يفهمني، هو لم يكن يفهمني في أغلب الأحيان، ولم يكن الوقت يحتمل عدة محاولات. جررته من يده بسرعة، فتعثَّر في طرف جلبابه وانكفأ على وجهه، وعندما نهض نظر خلفي، وتسمَّر مكانه لحظة، ثم هرع إلى ما ينظر. كان إسماعيل آتيًا يترنَّح من أثر "العلقة".

كان موعدنا في درس الكُتاب عصر كل يوم، وفي ذلك اليوم لم يأتِ إسماعيل وحده. ظننتُ أنا وماهر أن والده جاء يشتكي لشيخ الكُتَّاب، وكان ماهر يرتعد خوفًا، وانكمش داخل جلبابه المكوي المهندم، ثم عادت له ثقته واستقام ظهره وفرد صدره

t.me/qurssan

داخـل الجلبـاب، حتـى كاد يتمـزق، عندمـا لطـم والـد إسـماعيل ابنـه أمـام الجميـع؛ أمـام الشـيخ والتلاميـذ وماهـر وأنـا. بـكى إسـماعيل كالأطفـال، ووقـف الشـيخ غـير مسـتوعب لما يحـدث، فاسـتدرك والـد إسـماعيل موضًحـا:

- ابنـي غلـط يـا سـيدنا ولازم أربيـه قـدام زمايلـه. قـول يـاض انـت عملـت إيـه وصاحبـك عمـل فيـك إيـه؟

- طب سيبه انت يا شيخ عبد القادر وأنا هتصرف معاه.

- مـش هسـيبه ولا همـشي غـير لما يقـول قـدام زمايلـه هـو عمـل ايـه بغباوتـه وقسـاوة قلبـه. انطـق ياض.

وصاحبـت الكلمـة الأخـيرة صفعـة شـديدة عـلى قفـاه، جعلـت ضحـكات التلاميـذ تتعـالى، حتـى نظـر إليهـم شـيخ الكُتّـاب نظـرة غضـب أخرسـتهم. حـكى إسـماعيل كل سرقاتـه السـابقة، ومـا كان يفعـل بالطيـور التـي يسرقهـا والحـشرات التـي يصطادهـا ويحرقهـا في الأكيـاس البلاسـتيك والبرطمانـات، ثـم حـكى مـا حـدث بينـه وبـين ماهـر وسـط ذهـول الشـيخ والتلاميـذ، واشـمئزاز ملامحهـم المنكمشـة وعيونهـم شـبه المُغمضـة. ثـم أمسـك والـد إسـماعيل بـ "خرزانـة" الشـيخ وانهـال عـلى قـدم ابنـه، ولـولا تدخـل شـيخ الكتـاب، ولـولا الدمـاء التـي سـالت مـن قـدم إسـماعيل، مـا تركـه أبـوه أبـدًا.

لم يتسـامح أطفـال القريـة مـع إسـماعيل سريعًـا. عـدة أشـهر مـرت وهـم يرفضـون أن يفتحـوا لـه أبـواب بيوتهـم إذا ذهـب لزيـارة أحدهـم، لا يـرد أحـدٌ عليـه السـلام إذا تصادفـا في شـارع

أو لـدى بقَّـال، يتفاوضـون عـلى الجلـوس إلى جـواره في الكُتَّـاب وفي المدرسـة. أنـا الوحيـد الـذي أشـفقتُ عليـه مـن أفاعيلهـم، فـماذا سـينتج الصعيـد ونـار الشـمس وجـبروت الصحـراء، غـير هـذه القلـوب القاسـية!؟ هـم ليسـوا أفضـل منـه كثـيراً بحـالٍ مـن الأحـوال. إسـماعيل أعلـن عـن قسـوته ومارسـها عـلى تلـك الكائنـات الضعيفـة، لكـن أهـل الصعيـد يمارسـون قسـوتهم عـلى بعضهـم البعـض، وحـين يحرقـون، يحرقـون قلـوب آدميـين مثلهـم. كان إسـماعيل واضحًـا، حتـى حينـما يذهـب إلى أحدهـم ليـأكل في بيتـه، أو لينـام بعيـدًا عـن سـقف بيتـه المفتـوح عـلى مصراعيـه للمطـر، كان واضحًـا.

ولقـد أدركـتُ بحـدسي في ذلـك اليـوم أنـه تعلَّـم الـدرس جيـدًا. ليـس لأنـه لـن يحـرق أو يقتـل بعـد اليـوم، ولكنـه تعلَّـم ألا يُظهـر قسـوته أمـام أحـد، وأن مـا كان يمتلـك القـوة ليفعلـه نهـارًا في أرض فضـاء قريبـة مـن بيتـه، سـيفعله بقـوة أكـبر وإصرار أشـد، دون أن يكـون واضحًـا إلى هـذا الحـد.

t.me/qurssan

سامية (1 أغسطس)

جاءني محجوب مذعورًا جدًّا، يرتجف وعلى وشك البكاء، رغم أنه لم يأتِ إلى منزلي منذ شهور، منذ طلقني وترك المنزل. كان الولدان في غرفتهما يذاكران وأنا أجلس أمام التلفزيون، حين سمعت الطرق الشديد على الباب مصحوبًا بـ "افتحي يا سامية بسرعة، افتحي". بالطبع لم أخطئ صوته، لم أكد أفتح الباب حتى دخل مندفعًا، واصطدم بي فوقعتُ على الأرض. لم يلتفت إلى سقوطي وأغلق الباب خلفه بسرعة، وجرى إلى داخل الغرف يطفئ الأنوار.

جلس صامتًا حتى هدأ صدره اللاهث، وجفَّت حبات العرق على جبينه، ثم أشار إلي بالعلامة التي يعبِّر بها عن كوب الماء، تحرّكتُ في اتجاه المطبخ ثم توقفتُ فجأة. أما زلتَ حتى الآن يا محجوب تستخدم معي تلك الشفرة، التي

تعوَّدناها لعشر سنوات، عرفنا فيها بعضنا البعض!؟ أما زلتُ أنا أفهمُك دون أن تضطر إلى كلام؟ دبَّ في صدري حنينٌ لتلك الأيام الجميلة، التي كانت جميلة، حينما كنتُ أنام بين ذراعيه هادئة مستكينة، وحين كان صدري نهاية متاعبه، ما إن يضع رأسه هنا حتى تطير الخفافيش بعيدًا عنه. أظنه جال بقلبه ما يجول بقلبي الآن، قام من مقعده وتقدَّم ناحيتي ووضع رأسه على كتفي، ثم استدارت ذراعاه حولي شيئًا فشيئًا وأنا متصلِّبة كالتي ماتت وهي واقفة. لا أنا رفضته ولا أنا احتضنته. وحين بدأت أصابعه بالتحرك فوق ظهري، دفعته عنِّي وهوت يدي على خدِّه، لطمتُه. لم يكن الحضن هو السبب، ولم تكن محاولة الاستدراج الدنيئة، إنما كانت لطمة للطمع يا محجوب، لطمة لرغبتك الشهوانية في جمع كل شيء يحق لك أو لا يحق.

وفي لحظة لمتُ نفسي أنا الأخرى، فأنا التي شعرتُ بالحنين طالًا من عينيَّ، خجلتُ منه ومن نفسي، لكن القلوب والأجساد التي تحنُّ لا تعرف الطلاق، لا تعترف به. ناديتُ ابننا الأصغر: "ياسين، سيب اللي في إيدك وتعالى هات لبابا يشرب".

شرِب محجوب الماء كشرب الهيم، ثم أمسك بيدي وأجلسني جواره، وطلب من ياسين أن يعود إلى حجرته حيث يلعب مع أخيه. لم أكن أتخيل قط أن محجوب قد يحمل يومًا هذا السر بين جنبيه، لم أكن أتخيل أن هذا الرجل الذي نِمْتُ جواره سنوات، يمكن أن يتحوَّل إلى مجرم هكذا في لحظة! وما أدراني أنها لحظة، ربما استغرق الأمر أيامًا وشهورًا، ربما تحوَّل إلى هذا الشيء الغريب منذ طلاقنا وربما قبل ذاك؟ المهم أنه حدث،

t.me/qurssan

وأصبح هذا الرجل الذي يجلس الآن في بيتي معي ومع أبنائي، غريبًا عني وعنهم. ولكنني لم أشعر بارتياح لصدق الحكاية من بابها. كل ما له علاقة بإسماعيل لم يعد يجد لقلبي ولا لعقلي سبيلًا.

t.me/qurssan

علي (1 أغسطس)

تدريبات هذا الأسبوع مرهقة إلى حد بعيد. التدريب الأول ينصُّ على ألا تزيد الجملة التي يقولُها أحدنا عن سبع كلمات. فقط 7 كلمات لكل من نتكلم معهم أيًّا كان الموضوع، أيًّا كان التوقيت. لا جملة تزيد عن 7 كلمات حتى في أعمالنا حين نتحدث مع الغرباء. تدريب وقح وغير مهذب، أن تكون مقتضبًا مع الغرباء إلى هذا الحد.

"لو سمحت ممكن تختملي الورقة دي وتوديها الحسابات؟". "مدام نورهان المدير بيقولك تخلصي اجتماع قسم المبيعات وتكتبيله تقرير مفصل عنه".

كيف يا ربي أقلص كلماتي إلى أقل من هذا الحد؟ كيف سأقف أمام من يحدثني أعدُّ كلماتي قبل التفوه بها!؟ سأكاد أجنُّ من قلة الحديث حينئذ. ألا يكفي ما حدث لباسم بعد

تدريب فوزية؟ بعد ثلاثة أشهر من كونه "فوزية" أصبح باسم يتمايل في مشيته كالنساء، ويمضغ العلكة بطريقة أنثوية لافتة إلى كل شباب المجموعة. أصبح يتفنن في تركيب ألوان ملابسه وما يليق وما لا يليق، يستخدم "المانيكير" ثم يمسحه خلسة، لكنني أرى أثر الألوان على أظافره. يبالغ كثيرًا في كي ملابسه الرجالي التي يخرج بها من البيت. أراقبه جيدًا عندما يجلس جواري إلى "السفرة"، أراقب نظراته المتأملة لنا ونحن نتناول الطعام الذي شارك في إعداده مع سميرة، واهتمامه بأن نبدي آراءنا وتعليقاتنا وأن نقول له "تسلم إيدك". لا أشعر أنه ما زال يشعر بنفس الغضب والاستياء تجاه كلمة "فوزية".

والآن يريد منا إسماعيل أن نخفض كلامنا مع الآخرين إلى جمل مكونة من 7 كلمات. هل هذه خطة ممنهجة منه لأن يحولنا جميعًا إلى مجانين في أقرب وقت؟

لم ينجح أحد في اختبار الـ 7 كلمات. وكان عقابًا جماعيًا شديدًا؛ تركنا إسماعيل معًا في الڤيلا وذهب إلى شقته القديمة واعتكف بها عشرة أيام، هاتفه مغلق ولا يتصل بأيٍّ منا، وبالطبع لا يجرؤ أحدنا على الذهاب إليه، فليس من المسموح لنا اقتحام خلوته إلا بإذن منه. وإن لم يأذن فليس سوى الانتظار.

والتدريب الثاني كان يقضي بألا يعود أحدنا إلى الڤيلا من نفس الطريق مرتين متتاليتين. كل مرة نخرج من طريق ونعود من طريق آخر، ولا نكرر الطريقين في اليوم التالي مهما حدث. كان ذلك شاقًّا علينا جميعًا، ولكننا كنا نحاول ونتصبّر، ونتحايل

t.me/qurssan

على الطرق المزدحمة بالأحاديث الهاتفية مع بعضنا البعض، حتى جاء يوم جَمَعَنا على وجه السرعة.

ترك كلٌّ منَّا عمله وتوافدنا إلى الفيلا كسرب من النحل. كان إسماعيل في أقصى حالات الفرح التي رأيته فيها. كان يسير في الصالة ذهابًا وإيابًا، ونحن نجلس أمامه تتعلق عيوننا بحركته وانفعالاته، ننظر إلى بعضنا البعض في استغراب واندهاش حتى دبَّ الملل. كان ينتظر سميرة، هي الوحيدة التي تأخرت، ولكنه ما إن رآها حتى اندفع تجاهها وضمَّها إلى صدره، ثم رفعها من فوق الأرض ودار بها في احتضان قوي، وقال بعد أن هدأت ملامحه:

"باركوا لاختكو سميرة وأخوكو محجوب، خلاص فرحهم هيبقى يوم الأربع الجاي. طبعًا الفرح صغير على قدنا ومش هيكون فيه حد غيرنا. هنعمله في يخت يمشي بينا في الميه ساعتين ونرجع بيتنا نحتفل براحتنا. مش مسموح بأي لبس لافت للنظر. حتى سميرة ومحجوب هيلبسوا عادي، يلبسوا شيك بس عادي كأنهم هيحضروا مؤتمر ولا حفلة كبيرة. إنما ترتر وفرفر غير مسموح نهائي. ده الخبر الأول. الخبر التاني العظيم إننا بقى عندنا شركة مقاولات، سميرة قررت تطور خبرتها في الديكور وتعمل شركة مقاولات. المحامي دلوقتي بيخلص الورق والإجراءات وبعدين نبتدي في الشغل. وكلكو هتشتغلوا فيها، إللي مش مرتاح في شغله هيسيبه ويساعد سميرة في شغلها، واللي مرتاح في شغله بالنهار هيشتغل في الشركة بالليل. الكل لازم يشتغل".

اللافـت في الأمـر أننـا لم نفـرح ولم نُبـارك لسـميرة إلا بطـرف ألسـنتنا، لم نتفـق عـلى ذلـك ولكننـا اجتمعنـا عليـه. ويـا للغرابـة، كانـت سـميرة نفسـها تخلـو مـن علامـات الفرحـة، ملامحهـا جافـة خاليـة حتـى مـن الابتسـام، تتـلاشى عيوننـا ونحـن أيضًـا تلاشـيناها، حتـى محجـوب! لم يبـدُ أنـه سـعيد بتحديـد يـوم الـزواج، رغـم لهفتـه عليهـا ورغـم مـا فعلتـه سـميرة مـن أجلـه.

كان ذلـك بعـد زيـارة حبيبـة إلى الڤيـلا بخمسـة أيـام عـلى الأرجـح. خمسـة أيـام لم تـأتِ حبيبـة إلى العمـل ولا تـرد عـلى مكالمـاتي. لا أسـتطيع أن أزور بيتهـا مـرة أخـرى. كانـت أوامـر إسـماعيل أن أتركهـا تمامًـا وألا أعـترض طريقهـا، إلا إذا عـاودت هـي الاتصـال بي.

منـذ خرجنـا مـن الڤيـلا معًـا، وأنـا لا أعـرف عنهـا شـيئًا، قـادت سـيارتها دون أن تطـرف عينهـا ناحيتـي، مـن التجمـع الخامـس حيـث الڤيـلا حتـى وصلـت إلى بيتهـا في العجـوزة، ولم تنبـس ببنـت شـفة. توقَفَـتْ أمـام منزلهـا وترجلـتْ مـن السـيارة، وبالتبعيـة نزلـتُ أنـا أيضًـا. وجَّهَـتْ مفتـاح التحكـم عـن بعـد نحـو السـيارة، ومـا إن أصـدرتْ الأبـواب صـوت الإغـلاق، حتـى صعـدت حبيبـة درجـات السـلم إلى شـقتها دون أن تنظـر خلفهـا، كأن لم يكـن هنـاك آخـر يصحبهـا.

كان محجـوب متوتـرًا هـذا الأسـبوع، وعلاقتـه بإسـماعيل تسـوء دون أسـباب. حتـى يـوم زفافـه عـلى سـميرة مـرَّ دون أي شيء اسـتثنائي يُذكـر. اسـتيقظنا في مواعيدنـا العاديـة دون أي تعمـد لترتيبـات مبكـرة. توجهنـا جميعًـا إلى فنـدق "الكونـراد" المُطـل

t.me/qurssan

على نيل وسط القاهرة، ووزعنا أنفسنا على الغُرف المحجوزة لنا مُسبقًا، بدلنا ملابسنا وتقابلنا في قاعة الغداء كما أمرنا إسماعيل. وحتى هذه المناسبة التي من المفترض أن تكون سعيدة، لم تخلُ من تدريب واختبار. كان إسماعيل قد كلَّف محجوب ألا تكون غرفنا في نفس الطابق، بل تتوزع على عدة طوابق، ولم نفهم في البداية ما الحكمة من أن يفصلنا عن بعضنا البعض بهذا الشكل. لكنه وبعد أن تناولنا الغداء أمرنا أن يقوم كلٌّ منا بمراقبة النزلاء في الغرفة المجاورة له، وأن يأتيه بمعلومة صحيحة دقيقة عنه أو عنها، ولا يخبر بها أحدًا من المجموعة، فقط يخبرها لإسماعيل. وبالطبع من الممنوع نهائيًّا أن يكتب أحدنا المعلومات التي عرفها عن النزلاء هنا أو هناك. المعلومات تُسجل في الذاكرة فقط لا غير.

t.me/qurssan

ناديا (2 أغسطس)

تستوقفني كثيرًا آية الإنجيل التي تقول "من يمسكم يمسُّ حدقة عينه". ألى هذه الدرجة يرعانا الرب!؟ ألى هذه الدرجة نحن منه وألمنا يؤلمه!؟ أجد راحة كبيرة في قراءة الإنجيل وزيارة الكنائس والأديرة. كنتُ أبحث قبل لقائي بإسماعيل عن دير يستضيفني لعدة أيام على سبيل "الاعتكاف"، ولكن قالت لي صديقتي المسيحية إنني لن أجد ديرًا في مصر يسمح بمكوث المسلمين عدة أيام داخله، على سبيل الاعتكاف أو الرهبنة كما كنتُ أسميها. كنتُ أبغي الابتعاد عن البشر وغابتهم ومعاركهم الصغيرة وتفاصيلهم المادية، كنت أبحث عنه، عن الله. الله الذي يعرفه الرهبان فلا يريدون بعد الرهبنة أن يعودوا إلى ما خارج الأسوار، الله الذي تعرفه الملائكة فتشفق كل الشفقة على من في الأرض، يفسدون فيها ويسفكون الدماء.

الله الذي يعدُّنا عياله ولا يسمح بأن "يخربش" الغرباء غشاء قلوبنا، فنبكي كالأطفال وننظر إليه لنرى الحماية في عينيه، ولكن هؤلاء الغرباء أيضًا عياله، فهل يعدل الله بين العيال أم يحب فريقًا دون فريق؟ كان الله في عونك يا الله!

كان يوم زفاف سميرة ومحجوب يومًا من أسوأ أيامي مع إسماعيل. كان شاردًا معظم الوقت، لا يسمح لأحدنا بالاقتراب منه، وكان كلٌّ منا ملهيٌّ في التدريب الذي أمرنا به قبل الزفاف. كان على كل منًا أن يراقب الغرفة التي تجاور غرفته في الفندق، ويذهب إلى إسماعيل بمعلومة صحيحة دقيقة عن نزلائها. كانت الغرفة المجاورة لي صامتة لا يصدر عنها أي صوت يؤدي إلى استنتاج. ولكن السيدة التي ظهرت في "التراس" المجاور لي كانت عجوزًا، قد تخطت السبعين، يتجلى ذلك في شعرها القصير الفضي الخفيف جدًّا من البدايات، ويكاد يصل إلى 50 شعرة بالعدد في نهايته. تكاد تكون جلستها المعوجة المنحنية الظهر ارتسمت في عيني، تزينها الملابس السوداء الرقيقة التي ارتدتها، والتي بدت غالية وثمينة.

كنتُ أظن أنني "جبت الديب من ديله" حيث رأيت النزيلة شخصيًّا، وتفحصتها بتمعن جعلني أنقل المعلومة المطلوبة مني بدقة. ولأنه دائمًا غير متوقع؛ لا يأتي بما هو منتَظر منه أبدًا، فلقد ثار إسماعيل ما إن علم أنني رأيتُ السيدة، وبادلتُها الابتسامة وتحية الرأس الرقيقة. قطع المسافة التي كانت تفصل بيننا في الغرفة بسرعة، وأمسك بذراعي بقوة أخافتني، وبيده الأخرى أمسك نهايات شعري وجذبني نحوه:

t.me/qurssan

"بتقولي شفتيها وشافتك وسلِّمتي عليها؟ إنتي جنيتي يا ناديا؟ دي مهمة يا غبية مهمة.. يعني لا حد يلمحك وانتي بتعمليها ولا حد يعرف شكلك. إنتي حمارة ومبتفهميش. غوري من قدامي".

ترك يدي وشعري بدفعة واحدة، ألقتني أمام التسريحة واصطدم رأسي من الخلف بكرسيها الخشبي. هنا بكت "مريم" من هول صراخه. هنا رأتني ابنتي الرضيعة أُضرب أمام عينيها، ولا أعرف إن كان ثمة شيء يجعلها تنسى هذا المشهد، أم أن الكاميرا قد التقطته وانتهى الأمر. هنا أصبحت أكره إسماعيل، وأكره المجموعة أ، وأكره كوني جزءًا من هذه الحياة المميتة التي لن أستطيع لها صبرًا.

لو يعلم أبي الذي لم يكن صوته يرتفع في البيت أبدًا، أن زوجي يضربني، لو يعلم أن رأسي الذي كان يُقبِّله كل ليلة قبل أن ينام، ويضع يدَه فوقه ويتمتم بآيات القرآن، لو علم أن هذا الرأس يُدفع الآن بقوة ليصطدم بالحوائط والكراسي! أحتاجك الآن يا أبي، ولو يسعني أن أترك كل هذا الهراء وأستقل أول تاكسي لألقي بنفسي وابنتي بين ذراعيك! أنا خائفة يا أبي، خوف الجهل بما ينتظرني خلف الباب، وما قد أفعله دون قصد، فيتسبب في أن أفقد ابنتي أو أن تفقدني ابنتي.

لا أعرف ما الذي دفعني أن أكتب ذلك في مذكراتي، رغم أن إسماعيل شدد كثيرًا على عدم كتابة أي شيء عن التدريبات في أي مكان. ربما أردُّ له الصفعة بطريقتي، وربما أترك ورائي ما يجعل ابنتي تعرف كل شيء عني، إذا ما اشتد غضبه ذات مرة

وقتلنـي. فلتعلمـي إذًا يـا صغـيرتي أني أحبـك، وأحيـا هنـا لأجلـك، وسـأفعل لأجلـك أي شيء.

t.me/qurssan

باسم (15 أغسطس)

لم أشعر بالذل والمهانة في حياتي كما شعرتُ بهما اليوم. لا أصدق أنني مشيتُ في الشوارع الفارغة من المارة، كي أستطيع البكاء بعيدًا عن العيون المتطفلة.

عاقبني إسماعيل عقابًا لم أتعرض له من قبل، ولم أتصور أن يكون هذا هو جزائي على خدمتي له، بعد ما كان بيننا من عيش وملح. هذه هي المرة الأولى التي أفكّر جديًّا أن ألملم ملابسي وأترك له الجَمَل بما حمل، وأعود إلى حيث جئت، فأنا لم أعد أحتمل قسوته وعجرفته أكثر من ذلك.

بدأت الحكاية حين زلّ لساني ذات مرة، وقلتُ له إنني كنتُ طفلًا يحب الجبن الرومي، وكان ضيق ذات اليد يجعلها تدخل بيتنا في الأعياد فقط على سبيل الترفيه. كنتُ أحكي له

ذلك ببراءة نفس، وعن فخر و طيب خاطر. كنتُ أظن أن الفقر ليس عيبًا.

واليوم كنت أحضر لنفسي "سندويتشات" الإفطار لآخذها معي إلى المستشفى والشركة، يومي سيكون طويلًا، غير أنني انتهيتُ لتوي من نشر الغسيل وكي ملابس محجوب وسميرة. هل ثمة مشكلة أن آكل كل إفطاري اليوم من الجبن الرومي؟ هل من مشكلة أن آكل اليوم كذا ولا آكل كذا؟ انفجر إسماعيل غاضبًا حين رأى طعامي في المطبخ، وعلا صوته حتى أيقظ المجموعة كلها في السادسة والنصف صباحًا. وجدتُ الجميع يقفون أمامي بملابس النوم، يفركون أعينهم ولا نكاد نستوعب جميعًا ما يحدث.

- الجعانة اللي جاية من تحت الجاموسة، الست فوزية، شوفوا عاملة أكل قد إيه لنفسها الواطية الحيوانة.

- يا أستاذ إسماعيل...

- اخرسي يا كدابة. أنا مراقبك بقالي فترة، أكلك كله جشع ونَهَم، ودي أسوأ صفة في البني آدم، إنتي متعرفيش إنه ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه يا طفسة؟ يعني أنا لو بنفذ بيكي مُهمَّة وحد عزمك على سندويتش، تنسي اللي بتعمليه!

- حضرتك ده أنا وزني 50 كيلو، يعني وزن مثالي، دانا مبلاقيش وقت آكل من الشغل والمذاكرة.

أنا قلتلك اخرسي.

t.me/qurssan

كانت هذه هي المرة الأولى التي يتطابق فيها كف إسماعيل الأيمن مع خدِّي الأيسر، أمام المجموعة كلها، شبابها وبناتها.

- محجوب، إنت يا زفت يا محجوب.

- نعم.

- هاتلي من تلاجة المخرن كيلو جبنة رومي بسرعة.

- حاضر!

- اتفضلي سعادتك يا سنيورة فوزية، اطفحي الكيلو ده كله حالًا يمكن عينك تتملي.

- بس أنا مقدرش آكل كل ده دلوقتي ولوحدي كمان!

- كُلي بقولك. اترزعي على الكرسي ده. وانتي يا سميرة أكلي الهانم ف بقها وطفحيها الأكل ده. لحد ما ترجَّع وتجيب كل اللي في بطنها.

كان جسدي يرتعش ويدا سميرة تمتد إلى فمي بثبات ببضع قطع من الجبن، تضعها بقوة داخل فمي، دموعي تنزل على خدي ساخنة، وقطع الجبن تجرح جوفي كالمواسي وهي مصحوبة بكل هذه النظرات، شعرتُ برغبة قوية في التبول حاولتُ منعها، لكنني فشلت وتبللت ملابسي وتبللت الأرض من تحتي.

انسحبت ناديا إلى الخلف لتتسلل ثم تختفي من المشهد، ربما احترامًا لمشاعري... زجرها إسماعيل وأمسك معصمها بقوة: "أنا ماقلتش لحد يمشي!"

بعـد أن انتهيـتُ مـن التهـام الكميـة كلهـا، وضـع إسـماعيل يـده عـلى كتفـي، ثـم أصـدر أوامـره إلى سـميرة بـأن تراقـب أكلي جيـدًا، وإذا شـكَّت في أي وقـت بـأن هنـاك بـادرة جَشَـع تظهـر عـلى سـلوكي، تقـوم بإبلاغـه فـورًا. ومـن الآن فصاعـدًا أنـا ممنوعـة، أقصـد ممنـوعٌ، مـن تنـاول الجـبن الرومـي مـدة عـام. هـل سـأكمل معـك عامًـا كامـلًا عـلى هـذا الوضـع يـا إسـماعيل!؟ "هـذا أبعـد مـن حلمـة أذنـك".

مـا زلـتُ أشـعر بيـدي ترتعـش، الشـارع خـالٍ إلا من الـكلاب التي تشـاركني حراسـة الشركـة، والعصافـير التـي تركـت الأشـجار لتوِّهـا، وعـادت إلى السـماء برتقاليـة اللـون في هـذا الوقـت مـن الفجـر.

مسـتيقظًا منـذ أكـثر مـن أربـع وعشريـن سـاعة، ولم أتنـاول طعامًـا بخـلاف مـا "زغطنـي" بـه إسـماعيل. تقيـأتُ أكـثر مـن مـرة خـلال اليـوم كلـما اسـترجعتُ طعـم الجـبن في جـوفي. وطعـم دموعـي مـا زال عالقًـا بطـرف لسـاني.

أشـمُّ الآن رائحـة أمـي. لا بـد أنهـا اسـتيقظت وصَلَّـتْ الفجـر، ولا بـد أنهـا تضـع الآن أرغفـة الخبـز في الفـرن. كانـت توقظنـي وتغصبنـي عـلى إفطارهـا الشـهي، ولا يهـدأ لهـا بـال إلا وأنـا شـبعان وممتلـئ. كانـت تـكاد تُقبِّـل يـدي لآخـذ معي بعـض السندويتشـات إلى المدرسـة، وكنـت أُحـرج مـن زمـلائي في الثانويـة ومـن كيـس السندويتشـات وأنهرُهـا بشـدة. أيـن أنـتِ الآن يـا أمـي؟ كـم أحتـاج إلى حضنـك! لـو كان الأمـر بيـدي لهرولـتُ إليـكِ الآن وتركـت الڤيـلا "تتطربـق" عـلى إسـماعيل ومجموعتـه، ولكـن مـن سـيتكفَّل باحتياجـات البنـات يـا أمـي؟ لا أسـتطيع أن أحبـس دموعـي يـا أمي.

t.me/qurssan

محجوب (20 أغسطس)

العمل هو الشيء الوحيد الذي يلهيني عن بيت العنكبوت؛ بيت إسماعيل. ڤيلا ضخمة، حوائطها كلها بيضاء من الداخل والخارج، تبدو متشعبة ومُخيفة، لكنها تتخذ هذه الشاكلة كي لا تدل على شيء، كطبيعة محجوب الدائمة، ولكي تبدو صرحًا ضخمًا يروي غرور إسماعيل، بعد حياة الأقصر الموغلة في الفقر.

العمل يُلهيني أيضًا عن التفكير في الكارثة التي ارتكبتُها، وأترقب أن تنكشف بين ليلٍ ونهار. هي السبب، هي التي دفعتني لأن أطبق يديَّ حول رقبتها. رأيتها كـ "سميرة"، رأيتها في هيئتها تُحدِّثني بطريقتها وتمشط شعري بأصابعها، بنفسَ الطريقة. لم أتبين ذلك عندما قابلتُها أول مرة تجلس أمام عمارة الاستوديو. أدركتُ من نظراتها أنها تريدني، وأنها لن تمانع إذا حاولتُ معها. صَعَدَت معي مرة واثنتين وثلاث...

وكل مـرة كانـت تتشـكَّل فيهـا سـميرة جديـدة، كأن عفريتـة سـميرة تتلبسـها. ألوانهـا المفضلـة التـي ترتديهـا لإغـرائي، ألفـاظ التدليـل... كل شيء أرى فيـه سـميرة، وأنـا لا أسـتطيع أن أحيـا مـع واحـدة، فـما بـالي باثنتـين!

لم يكـن التخلـص منهـا سـهلًا كالأخريـات... أنـا حتـى لا أذكـر اسـمها الـذي قالتـه لي في أول لقـاء، فأنـا لم أناديهـا مُطلقًـا بعـد ذلـك، هـي التـي كانـت تناديـني. ولا أتذكـر الآن تفاصيـل مـا حـدث في الليلـة الأخيرة، غير أنهـا كانـت سـميرة نفسـها، بشـحمها ولحمهـا، كانـت العفريتـة قـد أتقنـت سـحرها في هـذه الليلـة "بالـذات" وحوَّلـت الفتـاة إلى نسـخة طبـق الأصـل، كانـت تقـترب منـي لتحتضننـي وأنـا أبتعـد، تقـتربُ وأنـا أنسـحب إلى الخلـف كالطفـل، كانـت تظنهـا مداعبـة منـي فتُقبـل بانكبـاب أكبر كأنهـا سـتلتهمني. وحـين اسـتجبتُ للتلامـس، كانـت أصابعـي تلتـف حـول رقبتهـا، ولم أتركهـا إلا وهـي هامـدة لا تتحـرك.

جلسـتُ جوارهـا حتـى جـنَّ الليـل، حملتُهـا في "شـنطة" السـيارة كـما يحـدث في الأفـلام التـي أصوِّرهـا، وألقيتُهـا عـلى مشـارف طريق الإسـكندرية. هكـذا كـما يحـدث في بسـاطة السـينما وتلقائيتهـا. عـدتُ مُسرعًـا كأن الريـح تحملنـي، ولكننـي لم أقـوَ عـلى الذهـاب إلى الڤيـلا ورؤيـة القتيلـة، شـبيهتها، سـميرة. لا يمكـن أن أنـام جـوار سـميرة اليـوم، لا يمكـن أن أقتلهـا ثـم أرجـع لأنـام في حضنهـا. قادتنـي راحتـي واطمئنـاني إلى بيـت سـامية، إلى حضـن أولادي أحتمـي بينهـم مـن مجهـولٍ لا أعرفـه. بـل أعرفـه، وصنعتـه بيـدي.

t.me/qurssan

شهورٌ مرت منذ تزوجتُ سميرة، شهور وأنا لا أقربُها ولا ألمسها. كان لعابي يسيل على صدري حين أشتم عطرها، عندما كانت متزوجة من غيري. ولكن بعدما عرفتُ من إسماعيل أنها تحبُّ آخر لم يعد لي بها هوى. أصبحت أرى في فتيات الشوارع اللاتي أصحبهن إلى الاستوديو، رمقًا عنها ودفئًا لا أجده في سريرها، حتى بعد تلك الحادثة، اعتزلت النساء عدة أيام ثم عدتُ إليهن كأن شيئًا لم يكن. والغريب أنها لم تكن تستنكر ذلك، لم تراودني مرة كما كانت تفعل وهي متزوجة، لم ترتدِ ليلة ما ترتديه النساء لأزواجهن. كانت تقول لي عندما أُقبِّلها في مكتبها، إنها تجد فرقًا كبيراً بين قوتي وإصراري في معانقتها، وبين مسكنة زوجها. مما يجعلها "تقرف" وتشمئز من ملمس جسده. هل تشمئزين مني الآن يا سميرة وتشعرين بالقرف!؟ هل لذلك تحتاجين إلى حوالي ساعة كاملة في الاستحمام كل يوم؟ وهل تتهربين مني بأن تنظفين كل شبر مربع في الغرفة كل يوم، وتكوين ملابسك كاملة حتى الداخلية منها، والجوارب، والملاءات وأكياس المخدات؟ أعرف أنني أبدو مازحًا مستهزئًا، لكنني سئمت الجدية التي تلف هذا الكهف الخرب يا سميرة، وسئمتك أنت أيضًا.

الجميع ناقمون على إسماعيل. أصبحنا مأمورين بالتجسس على زملائنا في العمل، كلٌّ حسب عمله. لا تخلو الاجتماعات من الأحاديث الخاصة بزملاء عملنا. حتى سميرة التي كانت منهمكة في إجراءات القرض ثم إنشاء شركة المقاولات؛ كانت يوميًا تعود مُحمَّلة بأحاديث ثرية عن المقاول فلان والمهندسة

فلانـة والفلـوس والنفقـات. ولكنـه عـلى غـير المتوقـع لم يكـن يطلـب معلومـات عـن شـخص واحـد بعينـه، إنمـا معلومـات دقيقـة عـن أي شـخص أيًّـا كان، حتـى لـو كان مجـرد زائـر للمـكان أتى لمـرة واحـدة، ولـن يكـرر الزيـارة ثانيـة أبـدًا. الهـدف مـن التدريـب كـما كان يقـول، هـو التركيـز وقتـما نريـد مـع مـن نريـد، وأن نسـتخلص المعلومـة التـي نريـد.

أنـا أيضًـا ناقـم عـلى هـذه الحيـاة الميتـة البغيضـة، رغـم أننـي أكثرهـم تحايـلًا عـلى الوضـع. أدَّخـرُ أمـوالًا غـير التـي أسـلمها إلى سـميرة كي تضعهـا في خزانتـه. أخـبره بمقابـل مـادي أقـل بكثـير مـما أتقاضيـه حقًّـا، وإلا سـأضطر إلى أن أخـرج مـن بيتـي وفي جيبـي أقـل مـن خمسـين جنيهًـا كـما ينـص التدريـب، وكـما يفعـل بقيـة الزمـلاء. أيُّ تدريـب يجعـل المـرء فيـه يسـير وفي جيبـه ثلاثـون أو أربعـون جنيهًـا هـذه الأيـام؛ يركـب بهـا المواصـلات ويـأكل أيضًـا إذا احتـاج إلى ذلـك!؟

هـي حيـاة مملـة في العمـوم، رغـم أني لا أكاد أتعامـل مـع أفـراد المجموعـة إلا في حـدود. مجموعـة مـن الحمقـى والأغبيـاء أضطـر إلى مجالسـتهم في أوقـات التدريبـات والاجتماعـات. ناديـا الغنـدورة "المتأنتكـة" عـلى الـدوام، بربنـط "الأهطـل" الـذي يسـير خلـف إسـماعيل كظلـه ويهمهـم طـوال النهـار كالحـمار، والسـت باسـم الـذي يتبقـى لـه أن تـزول خشـونة صوتـه ليصبـح فوزيـة، و"خيـال المآتـة" عـلي الـذي لا يهـش ولا ينـش، وسـميرة... الأرملـة السـوداء، التـي سـوَّدت نهـاري وغيَّمـت ليـلي. أسـوأ صفـة يمكـن أن تمتلكهـا امـرأة، أن تشـعر أنهـا الرَجُـل. سـميرة تعاملنـي كأنهـا هـي الرجـل

t.me/qurssan

وأنها زوجي، كأنها وليُّ أمري، كأنها حصلت على مكافأة نهاية خدمتها لسيد يوسف. تسألني أسئلة أم لطفلها، تلميذ الأولى ابتدائي، عن عدد الحصص وجدول كل يوم، وواجب العربي وواجب الحساب، ومن الذي أكل منك السندويتشات.

في بادئ الأمر، لم تكن علاقاتي خيانة لها بالمعنى المفهوم. فقط كنتُ أستشعر بأنف الصياد روائح النساء من حولي. هذه تمر بأزمة حب من طرف واحد، هذه أتت لتوها من معركة حامية الوطيس مع زوجها، انتهت غالبًا بـ "علقة" ساخنة أو "فردة شبشب" التصقت بجبهتها، ربما لم يترك لها المصروف، أو "قفشت" على هاتفه رسالة مريبة من إحداهن. وهذه تبدو باحثة عن شيء ما، طاقتها الجاذبة تعمل بأقصى حدودها، تلهث بعينيها وراء معجب أو مُغازل، حسنًا يا جميلة، صيادُكِ هنا.

لم أعرف يومًا إحساسًا بالندم أو الذنب تجاه سميرة، وكنتُ أؤنب نفسي على ذلك. لماذا لا أحمل تجاهها أي شعور بالتقصير أو الغدر أو الخيانة أو الشفقة أو أي شيء يبدو في صالحها!؟ أعود إلى الفيلا بعد يوم طويل -لا أقضيه كله في التصوير بكل تأكيد- تستقبلني هي بحفاوة واحتضان لا أكاد أصدقهما، وأحتضنها أنا وأضغط بأصابعي على خصرها حتى تتألم وتتململ، لا أفعل ذلك بدافع الافتقاد، إنما لأعوض إحساس الحضن البارد الجاف، وأوهمها شعورًا بالحب والحنان لا أقوى على إعطائه بصدق.

كنتُ أسمعُ تشنجات بكائها كل ليلة، هل تتذكر ابنتها نور وتفتقدها؟ هل تأسى على حظها العثر الذي أتى بها من برج الهوانم، ووضعها وسط هؤلاء البؤساء، الذين علَّمتهم "الإيتيكيت" ونزعت عن جلودهم "الجلخ"؟ كنتُ أحيانًا أكتم أنفاسي كي لا تشعر باستيقاظي، ومن ثَمَّ أصبحُ مطالبًا بالاحتضان و"الطبطبة"، وأحيانًا كنتُ أمدُّ يدي إلى دموعها أمسحها، وأقبِّلُ أذنها فتهدئها أنفاسي، لا لشيء إلا لأني على موعدٍ مع إحداهن في الصباح، ولا أريد سؤالًا عن أين سأذهب ومتى سأعود.

كم أنتظرُ التخلص منك ومنه في آنٍ واحدٍ يا سميرة. نفس اليوم الذي أحصل فيه على إيصالات الأمانة من إسماعيل، هو اليوم الذي ستكونين فيه حرة إلى الأبد. أعرف أن هذا اليوم ليس قريبًا ولن يأتي بسهولة. فحتى إذا ادخرت مبلغ الإيصالات كاملًا، لن يتركها لي إسماعيل، حيث إنها الرابط الوحيد الذي يضمن ولائي له ولمجموعته. هو يعلم أنني حرٌّ طليق لم يربطني بهذا الكهف إلا الشديد القوي. ولكنني لم أستسلم، فبالتأكيد ثمة طريقة آخذ بها أوراقي، وأهرب من بين فكي الأسد. أهرب وحدي يا سميرة.

t.me/qurssan

سيد يوسف (15 سبتمبر)

إنه الحزن، أعرفه جيدًا، يمكنني أن أتشمم رائحته على بعد كيلومترات. أراه حين يقف على باب حمامي فلا أدخل للتحمم، ولا أقرب المرآة. أراه حين أدخل البيت؛ شخصًا رمادي الوجه كبير الملامح، يجلس على كنبتي ويحمل كتابي ويشرب القهوة في فنجاني، وإذا رآني يهب واقفًا مبتسمًا ويأتي إلي ويلفني بذراعه "كنت فين يا راجل كل ده؟ أنا مستني من بدري". يطفئ الأنوار، يغلق التلفزيون، ونجلس معًا نحتسي قهوة سادة تحمل مرارته ومرارتي.

صادفتُها اليوم في أحد "المولات" الكبيرة، كانت هي تتأبط ذراع محجوب، يبدو أنها تزوجته، وحتى إن لم يتزوجا، فقد حدث بينهما تخطي الحدود. كنتُ أنا أسير واضعًا يدي اليُسرى على كتف نور. وقفتْ نور والتفتت إلي بقوة ودهشة، كأنها

هـي مـن يشـعر بالخيانـة، الخيانـة! يـا لهـا مـن كلمـة. أتصورهـا مكتوبـة عـلى شـكل خنجـر، والتـاء المربوطـة تـأتي مدببـة مسـممة في نهايتـه، كأنهـا رأس سـهم. إذا كان اللـه هـو مـن يضـع الحـب في القلـوب، لمـاذا لا يسـحب هـذا الحـب في الوقـت المناسـب ويضـع مكانـه آخـر، أو لا يضـع!؟ وأيـن يذهـب صاحـب الحـب المخـدوع بقلبـه!؟ كيـف يحيـا بـه جريحًـا هكـذا؟ هـل الإخـلاص مرتبـط بأول الحـب فقـط!؟ في البـدء كلهـم يُقسـمون ويُعاهـدون ويُخلِصـون، ثـم مـاذا؟ هـل ينسـون ذكرياتهـم معنـا أم يبكونهـا مثلنـا؟ هـل يبتسـمون حـين نعـترض مخيلتهـم؟ هـل يندمون عـلى خيانتنـا؟ أكاد أراهـم يتلفتـون حولهـم دومًـا، حتـى وإن بـرروا لأنفسـهم أنهـا "فـترة وتعـدي، تجربـة وهتخلـص، مشـاعر اتكونـت غصـب عننـا وإلـخ إلـخ". لـن تسـامحهم ضمائرهـم أبـدًا وإن نحـن سـامحناهم!

كانـت اللحظـات التـي توقفتهـا نـور في مواجهـة أمهـا طويلـة، بمـا يكفـي لأن تنظـر إليهـا سـميرة باندهـاش وارتبـاك، أفقداهـا القـدرة عـلى التـصرف وعطّـلا لديهـا حِسَّـها الأمومـي، فلـم تجـرِ إليهـا ولم تأخذهـا في حضنهـا كـما تفعـل أمهـات الأفـلام. كانـت اللحظـات طويلـة بمـا يكفـي، لأن تمـلأ نـور عينيهـا بخـزي أمهـا، وتسـحبني مـن يـدي كأنهـا أمـي، وانصرفنـا بهـدوء وبخطـوات ثقيلـة لم تقـوَ عـلى الفـرار.

لم تمـر الأسـابيع التاليـة لهـذا اللقـاء بسـلام، مرضـت نـور بشـدة وحـار فيهـا الأطبـاء، معظمهـم عـزا الأمـر إلى حالتهـا النفسـية المترديـة. لم أجـد بُـدًّا مـن الاتصـال بسـميرة كي تـرى ابنتهـا، ومـا لم أكـن أتوقعـه أن تَعِـدَ بالحضـور ولا تفـي، مـرة ثـم مـرة ثـم مـرات.

t.me/qurssan

وبعد عشرة أيام توقفتُ أنا عن الملاحقة، وتوقفت هي عن إصدار العهود.

- يا أستاذ سيد، بنت حضرتك بقت مهملة في مذاكرتها وتمريناتها، وحتى في شكلها. أنا شايف إن البنت بتمر بحالة نفسية مرتبكة، وكل زملائها في الفصل ملاحظين كده. أقترح على حضرتك لو تعرضوها على دكتور يكون أفضل. ده حتى البيانو بطلت تقرب منه خالص!

تجمدت الحياة في عروق ابنتي نور، أصبحت من ذوات الدم البارد. لا تكاد شفتاها تنفرج عن ابتسامة إلا كل يومين أو ثلاثة، وعلى عكس طبيعتها، كانت تلتهم الطعام بكميات غير مفهومة. تملأ الملعقة عن آخرها وتقذفها داخل فمها، وتغرسها في الطبق مجددًا. نور التي كانت أمها تطاردها لتنهي ساندويتش الإفطار وكوب اللبن، أصبحت تُنهي طبقها مرتين أو ثلاثة. تكوَّر جسدها واتخذ ملمسًا مطاطيًا، ولم يعد هناك مزحة ولا سخرية بين بنات الفصل، غير نور الفراشة التي تحولت بقدرة قادر، إلى دب قطبي سميك الجلد واللحم، والشعور!

t.me/qurssan

حبيبة (1 سبتمبر)

يقـول فرنانـدو بيسـوا "لـدي كتـابٌ صغـير أكتـب فيـه حـين أنسـاك، كتـاب ذو غـلاف أسـود، لم أخـط فيـه كلمـة بعـد".

فعلـتُ كل الأفاعيـل كي أنسـاك يـا عـلي. اتَّبعـتُ كل وصفـات النسـيان المؤقـت ومسـح الذكريـات، لكننـي عـلى مـا يبـدو نسـيت تفصيلـة صغـيرة، فكانـت النتيجـة أن أحببتـك أكـثر.

شـهرٌ كامـلٌ مـرَّ لم ألتـق بـك، ولم أرد عـلى مكالماتـك، ولم تجـرؤ أنـت عـلى الحضـور إلى البيـت كـما فعلتهـا سـابقًا. لكـن طبيعتـي غـير الانهزاميـة رفضـت ذلـك يـا عـلي. رفضَـتْ أن تـترك شـيئًا منـي هنـاك لهـذا الرجـل غريـب الأطـوار، رفضـتُ مـن أعـماق وعيـي أن أتـرك يديـك تنسـل منـي إلى قـاع البحـر، هيهـات أن أتـركك للحيتـان يـا عـلي.

جمَّعت في ذاكرتي صورة إسماعيل وسميرة، استدعيتُ مشهد جلوسهما أمامي كاملًا ورسمتهما. رسمتُ الملامح كما رأيتها، والغمزات واللمزات التي استشعرتها، حاولت رسم الطاقة التي وصلتني منهما، نظراتهما، طريقة الجلوس، مسكته للسبحة، تنظيفها للوحات، إشاراتها إلي لأضبط شَعري... وضعتُ كل شيء على هاتين اللوحتين الصماءتين. شعرت حين انتهيت منهما بعد شهر، أنني تقيأت ما في بطني، شعرتُ كمن اغتُصِبت وانتُهِكت ثم تطهَّرت ومسحت عنها الوسخ. ورغم ذلك لم أتطهر من حبك يا علي، اكتشفتُ أنني أحببتك رغمًا عني وملأتني رغمًا عني، وأنني حبلى بهذا الحب، رغم كل محاولاتي للإجهاض.

سأنحِّيك يا علي من المعادلة تمامًا. كي أحافظ عليك لا بد لي أن أفقدك مؤقتًا. أو أن أدَّعي فقدانك.

وقفتُ بسيارتي حوالي نصف ساعة أمام باب الڤيلا، شيءٌ مثير للتساؤل ألا يكون لكل هذه الڤيلا بوَّاب. فقط "الإنتركوم" هو من يقوم بالمهمة. لا غرباء في المكان، فقط أفراد المجموعة الذين حدَّثني عنهم سمو البرنس. لا طباخ لا بواب، لا سائق، لا عامل "ديليڤري" يأتي لتوصيل الطلبات. أفراد المجموعة يقومون بكل ذلك كجزء من تدريباتهم، تمامًا كعساكر الجيش الذين تأتي خدمتهم في أحد بيوت الضباط.

رتَّبتُ أفكاري وضغطت زر الإنتركوم، تعمَّدتُ ألا أرتدي نظارتي الشمسية، حتى لا أُسأل السؤال التقليدي "مين؟". أردتُ اختصار هذه اللحيظات قدر الإمكان، وأن أنفذ إلى الداخل

t.me/qurssan

بسرعـة قبـل أن أغـير قـراري، ورغـم ذلـك أتـاني صوتهـا الناعـم المتسـلل كالأفعـى "مـين؟". نظـرتُ إلى الكامـيرا أمامـي وابتسـمتُ ولم أرد. شـعرتُ بالمباغتـة في رنـة صوتهـا واهتـزازة السـؤال "أهـلًا يـا حبيبـة، إنتـي مـش عارفـة إن الزيـارة هنـا لازم تبقـى بميعـاد مـن أسـتاذ إسـماعيل، ومفيـش زيـارات مفاجئـة؟". أجبـتُ بثقـة شـديدة مـن الجـزء الأعـلى مـن جسـدي، بينـما الجـزء الأسـفل يرتعـد كأنـه مصـاب بشـلل رعـاش. أجبـتُ بهـدوء وبـطء، كي أعطيهـا الفرصـة لتنـادي إسـماعيل، وتخـبره بوجـودي "أيـوة عارفـة إن الزيـارة بميعـاد، أنـا فعـلًا غلطانـة إني جيـت، ومـش هكـرر الغلطـة دي تـاني أبـدًا".

وليـتُ ظهـري للبـاب. فتحـتُ حقيبتـي وأخرجـتُ نظـارتي الشمسـية ببـطء شـديد. ربـاه أنـا أعلـم يقينًـا أنـه لـن يـترك فرصـة تجنيـدي، ولـن يقـاوم إغـراء اصطيـاد فريسـة جديـدة. هـل أخطـأتُ التقديـر يـا رب؟ ألـن تقـف إلى جـواري وتُلهمنـي خطـة اصطيادهـم ومعرفـة مـا وراءهـم؟ ارتديـتُ النظـارة وضغطـت زر "السـنترلوك" بينـما أتوجـه بخطـى متمهلـة إلى بـاب السـيارة، أقـاوم رغبتـي الشـديدة في النظـر إلى الخلـف، إلى بـاب الڤيـلا. ثـم توقفـتُ، توقفـتُ وانغرسـت كعـوب حـذائي في الأرض، حـين سـمعتُ خلفـي صريـر البـاب يُفتـح.

ابتسـمتُ إلى سـيارتي، شريكتـي الوحيـدة في المهمـة، وتمتمـتُ في سري أُشـهد هـذه الشـجرة الوحيـدة في المـكان عـلى هـذه اللحظـة، لحظـة دخـولي إلى صرح إسـماعيل وعـلى أيـامٍ عجـاف سـتأتي بعدهـا.

t.me/qurssan

بربنط

رغـم كل جهـوده كي يبتعـد عـن سـكة ماهـر، ظـل إسـماعيل يقـترب منـه أكـثر دون أن يـدري، وكلـما سـار في طريـق ظـنَّ أنـه يبعـده، وَجَـدَ ماهـر في نهايتـه.

كنـا في الشـهادة الثانويـة حـين صرَّح إسـماعيل لوالـده بأنـه يحـب ويريـد أن يتـزوج. لم يرفـض والـده فكـرة زواجـه المبكـر جـدًا، لكنـه قـال صراحـة إنـه لـن يدفـع مليـمًا في هـذه الزيجـة، فهـو رجـل لديـه مـن الأولاد الكثـير، ومنهـم البنـات الـلاتي وراءهـن "هـمّ مـا يتلـمّ". الأولاد سـيكبرون ويعملـون ويكسـبون مـن عـرق جبينهـم، بينـما تظـل البنـات في رقبتـه حتـى نهايـة عمـره. حينهـا قـرر إسـماعيل في خطـوة متهـورة غـير محسـوبة، أن يذهـب بنفسـه ليتقـدم للفتـاة، ومـن تكـون الفتـاة؟ "سـماء" جميلـة جميـلات

البندر التي تأتي للتنزه في القرية كل إجازة، وفيما عدا ذلك تعيش مع خالتها في القاهرة وتدرس في مدرسة الراهبات.

رآها إسماعيل أول مرة تسير وحدها بجوار الترعة ترتدي "بنطلون" أسود من الصوف و"بلوفر" أحمر ذا رقبة عالية، كان ذلك في شتاء إجازة نصف العام في الصف الثالث الإعدادي. وكانت "سماء" لا تزال بعدُ طفلة في الابتدائية. كنا مجموعة من الشباب نلعب الكرة في الأرض الواسعة المطلة على الترعة، حين وقف إسماعيل في منتصفنا، وسأل بصوت مرتفع: "بت مين دي؟". فأجابه أحدهم: "دي سماء بت الظابط ممدوح، أخت الواد ماهر".

توقفت الفتاة حين سمعت اسمها، ونظرت إلينا باندهاش. تحرك إسماعيل في اتجاهها بجسده الضخم، وجلبابه المتسخ المشمر إلى ملابسه الداخلية، وبشرته المحترقة وشفتيه الغليظتين المتدليتين. لا أعرفُ كيف رأته الفتاة وقتها، لكنها جَرَت من أمامه كمن رأى عفريتًا أو شيطانًا رجيمًا.

حاول أن يستفهم عن شيء أخافها، أو يبرئ نفسه من أي كلام سمعته بيننا وضايقها، فجرى خلفها وهي لا تزال تركض بكل سرعتها، حتى وصلتْ إلى دارها. وقف إسماعيل أمام الباب ينتظر منها طلة أخرى، أو تبريرًا لهذا الهروب، لكنها لم تظهر ذلك اليوم أبدًا.

منذ ذلك الحين وإسماعيل ينتظرها كل إجازة، يتحيَّنُ مواعيد تمشيتُها في الحقول، وحين لم تجرِ منه كالمرة الأولى، ظنَّ أن حبًّا ينشأ بينه وبينها، وأن القرب المُنتَظر لم يعد بعيدًا. ولمَّا تنصَّل

t.me/qurssan

الشيخ عبد القادر من تكاليف الزواج، دون حتى أن يسأل عمَّن تكون الفتاة، ذهب إسماعيل بمفرده ليطلبها.

أنا شخصيًا كنتُ أتوقع أن ينتهي ذلك اليوم بمشاجرة دامية بين إسماعيل وماهر، أو أن يتلقى "علقة" تذكارية من الظابط ممدوح، لكن ما حدث كان أهون بكثير، أهون وأقسى: ضحك.

لم يفعل الظابط ممدوح شيئًا حين سمع كلام إسماعيل، سوى أنه ضحك حتى تسلل ريقه خارج شفتيه، وبلل ذقنه المدببة الصغيرة. وإسماعيل أيضًا كان يضحك، ولكن عينيه هما المبللتان بالدموع.

لم يترك ماهر أحدًا في الجوار، إلا وحكى له قصة العاشق الولهان، الذي يحلم ببنت السلطان. وكل من يعرف القصة لا يفعل سوى الضحك، حتى إخوته من أبيه ضحكوا.

أصبح إسماعيل يرى كل الناس يضحكون، ويضحكون منه تحديدًا، إلى درجة أن جارنا الحاج صبحي "قفشه" ذات نهار يضرب الجحش الصغير في الزريبة، الجحش الغلبان يجري وإسماعيل يجري خلفه، ويضربه بالخرزانة بكل قوته. وحين دافع الحاج صبحي عن جحشه، قال إسماعيل إن الجحش كان يضحك منه، فمنذ متى والجحش يفتح فمه إلى هذه الدرجة وهو ينهق، إلا إذا كان يضحك!؟ ثم تكرر الأمر بعد ذلك بأسبوعين مع بَط الحاجة نعمة. أصبح إسماعيل يرى الكون كله يضحك، إلا هو.

t.me/qurssan

سميرة (22 ديسمبر 2016)

لا أريد الإنجاب من محجوب. لا أريد أن أحمل النسخة المصغرة من هذا الخنزير الذي تقيأ بداخلي ما استطاع. أرفضه كل يوم أكثر مما أفعل في سابقه، أرفض رائحة سجائره التي تختلط بأصواف البلوفر في الشتاء. أرفض شعره المصفف بعناية كلما خرج، وعطوره النفاذة التي تتبدل حين يعود، وأجد مكانها روائح النساء، روائح أنفاسهن حين يحتضنَّ زوجي، روائح عرقهن وارتباكهن ومساحيق التجميل المختلطة باللعاب، حتى المرات القليلة التي حدث بيننا فيها ما يحدث بين النساء والرجال، كانت تعذبني حتى أتخلص من جثته الجاثمة على صدري، وأهرع إلى حمامي، أترك الماء والصابون يغسلان عني أنفاسه ولمساته، وكلماته البذيئة، أجلس على ركبتي يختلط الماء بالدموع، لا اعرف أيهما الأكثر حرارة الذي يلسع خدي،

لكنني وبعد وقتٍ أشعر بطهارتي عادت إليّ بعد ما حدث، وكأن شيئًا لم يكن. أهرع إلى ركن الصلاة الخاص بي في غرفتي، وأنا العذراء مريم، لا تشوبني شائبة.

يقولون إن المرأة إذا تزوجت ازدهرت واخضرَّ عودها، وأورقت وأثمرت وفاحت منها رائحة الحب والدفء، وشاع من شفتيها نور الضحك والفرح، إلا إياي. منذ تزوجتُ محجوب فقدت خسمة عشر كيلوجرام من وزني، لم أعد بكامل صفائي الذهني وحيوية بدني. كنتُ أنا الحصان الأسود الرابح لدى إسماعيل، كان يُمطرني بالإطراء والثناء طوال الوقت، والآن تعتلي تلك "المزغودة" حبيبة عرش المجموعة. يلتفون حولها كالجراد، بما فيهم إسماعيل ومحجوب خاصة، بعد أن أصبَحَتْ تبيتُ معنا بعض الأيام. حتى ناديا تغيرت تمامًا مذ جاءت حبيبة، تتسلل ناديا إلى غرفة حبيبة ليلًا بعد أن ينام إسماعيل، وتسهران معًا حتى مشارف الفجر. أنفجرُ غيظًا وأحيانًا أبكي بحرقة، حين تنتابني الغيرة وأسمع ضحكاتهما وهمهماتهما دون أن تدعواني للانضمام، وأحاول جاهدة ألا أكشف بكائي لمحجوب، حتى لا أرى ابتسامة الشماتة والشفقة في عينيه. كانتا تتسامران طوال الوقت، وأنا أحاول أن أبعدهما عن بعضهما البعض بكل الطرق، لكن ذلك ما زادهما إلا التصاقًا.

حبيبة هي المقربة من ناديا الآن، حتى إنها عندما تحتاج إلى الاختلاء بنفسها لكتابة قصة جديدة أو مسرحية، كانت تترك ابنتها "مريم" في رعاية حبيبة، التي تعتني بالصغيرة كأفضل ما

t.me/qurssan

يكون، أفضل من ناديا نفسها. أين تعلمت هذه "المفعوصة" الاعتناء بالأطفال هكذا؟ طالما حاولتُ أنا أن أعتني بمريم، ولكن ناديا لم تكن لتسمح لي، كانت أنانية معي أنا وحدي. لكنها على أي حال -حبيبة- لا تجيد تنظيف البنت جيدًا وقت الاستحمام، تظهر منها رائحة الأطفال المختلطة بالـ "قشط"، رائحة كريهة لا تُطاق. وبالطبع أمها مشغولة بصناعة مجدها الشخصي، ولا مانع لديها من أن تكون ابنتها ذات رائحة كريهة طوال الوقت، هذا بخلاف كونها طفلة مدللة، يجري الجميع نحوها إذا بكت ككل الأطفال. ولكن كيف لا تكون ابنة "الغندورة" ست البيت مدللة إلى هذا الحد، "حتة جلدة حمرا لا راحت ولا جت بتسهَّر البيت كله لو تعبت ولا سخنت" كأننا لم نكن أطفالًا، ولم نكن ذوي أهلٍ ليدللوننا!

نعم كان لنا أهل، ولكنهم كانوا يتبعون التربية بالتعذيب بدلًا من التدليل. كانت أمي الفنانة التي ورثتُ عنها الرسم، سيدة حازمة لا ذات رحمة، سامحك الله يا شكرية! كانت تحبني أنا وأختي، لكنها لم تعرف شيئًا عما يقتضيه ذلك الحب. كانت تذهب إلى عملها في الصباح، وتتركنا لدى جارتنا العجوزة التي لم تنجب، كانت تأمل أن تعتني بنا السيدة مفتقدة الأبناء، وهي كانت تفعل ذلك فعلًا، ولكن على طريقتها!

"أنا هربيكم يا بنات آخر زمن. ده احنا مكناش أطفال على كده. تعالي هنا منك ليها"!

أتذكر يوم تشاجرتُ مع أختي على ما نشاهده في تلفزيون جارتنا، وأتذكر العقاب الذي تعرضنا له نحن الاثنتان. كانت العجوز التي لا أذكر اسمها الآن هي المرأة المُحجَّبة الوحيدة في عمارتنا آنذاك. لم تكن "موضة" الحجاب قد انتشرت بعدُ في أواخر السبعينيات. أحضرت الجارة الدبابيس الرفيعة التي تستخدمها في ارتداء حجابها، وظلت "تشكشكنا" بها أنا وأختي، حتى رجَّ صراخنا العمارة. وفي عقابٍ آخر أمسكت رأس كلٍّ منا، وأدخلتها في قاعدة الحمام. كانتْ تحيا في مستوى اجتماعي راقٍ، ولديها خادمة تنظف الحمامات كل يوم، ورغم ذلك لا يمكنني أن أنسى رائحة ذلك الحمام حتى اليوم. رائحته تمر أمام أنفي كلما أردت عقاب تلك "المفعوصة" مريم على بكائها المستمر، الذي لا ينقطع طوال الليل. شكة دبوس واحدة يا مريم تجعلك تخرسين إلى الأبد، وإلا ستكونين طفلة قليلة "الربابة" والأدب!

الست حبيبة هانم كانت تظن أنه يعبث معنا، وأنه ليس هناك تدريبات ولا "دياولو"، وهو من ناحيته لم يكن متعجلًا عليها، هي صيدٌ ثمين ووراءها كثير. استشعر إسماعيل قوة شخصيتها مذ رآها للمرة الأولى مع علي. اتصل بها صباح يومٍ وطلب منها الحضور حالًا من عملها، رَفَضَتْ بأن لديها الكثير لتنجزه في العمل. لم يكن معتادًا على قول كلمة "لا" من أيٍّ من أفراد المجموعة، حتى أنا.

t.me/qurssan

"هــي فاكــرة نفســها مــين بنــت بــارم ديلــه!؟ مبقــاش أنــا إســماعيل إن مــا علِّمتــك الطاعــة عــلى أصولهــا يــا حبيبــة"!

ثــار وفــار حتــى جــاءت في الســابعة، وكان قــد أفــرغ كل مــا في جعبتــه مــن عصبيــة أمامنــا نحــن، ثــم اســتلمته هــي في نهايــة اليــوم فارغًــا تمامًــا، هادئًــا جــدًّا، إلى درجــة أنهــا طلبــت منــه أكــثر مــن مــرة أن يُعــلي صوتــه، كي تســمع مــا يقــول، وكأنهــا كانــت تتعمــد الجلــوس بعيــدًا عنــه، ليمتــد هــو بصوتــه حتــى تصلهــا كلماتــه.

- تدريبك الجاي في تركيا يا حبيبة، إنتي وعلي.

- إزاي؟

- هتسافروا تقعدوا هناك عشر أيام وترجعوا.

- أيوة يعني هنعمل إيه؟

- نفــس الــلي بتعملــوه هنــا. تجمعــوا معلومــات عــن أي شيء وأي حــد، التدريــب مبنــي فقــط عــلى فكــرة الســفر.

- أنــا ســافرت كتــير قبــل كــده ودي بالنســبة لي مــش حاجــة صعبة ولا محتاجــة تدريب.

- سافرتي من غير فلوس؟

- يعني إيه؟

- يعنــي التدريــب إنكــو هتســافروا بلــد مبتتكلمــوش لغتهــا ومفيــش معاكــم فلــوس، ولا مليــم. الفنــدق محجــوز مــن هنــا، وهتتحركــوا في البلــد كل يــوم وتخرجــوا مــن الأوتيــل عــادي جــدًّا. 10 أيــام مــن غــير فلــوس، ومــش هتاخــدوا أي فيــزا بنكيــة.

- نعم! وهناكل ونشرب إزاي؟
- في الفندق. وحساب الفندق هيتبعت لكم في آخر المدة، مفيش وجبات غير اللي هتاكلوها في معاد الأكل داخل الفندق. اعتبروه دايت.
- ولو حد فينا تعب واحتاج دكتور؟
- مش هتتعبوا.
- ولو احتاجنا تاكسي؟
- مش هتحتاجوا.
- ولو تُهنا؟
- لو تُهتوا تبقوا لا يُعتمد عليكو، وساعتها مترجعوش أحسن.

كنتُ أشعر بسعادة بالغة وأنا أفتش حقيبتيها الكبيرتين قبل التوجه إلى المطار، يهتز قلبي نشوة وأنا أُفرغ الحقائب المرصوصة بعناية من محتوياتها، لأتأكد من عدم وجود أي أموال أو فيزا بنكية أو ما شابه. كانت حبيبة تنظر إلي بتعجب لكنني لم أُبالِ، كانت هذه هي الأوامر، وأنا مجرد أداة تنفيذ. لم أشعر بنفس اللذة وأنا أفتش حقيبة علي، لذة الانتصار على هذه الصغيرة المُستجدة، تجعلني أرتعش فرحةً كطفلة شدت شعر طفلة أخرى، ولم تجد مدرسًا أو ولي أمر ينهاها عن فعلها.

t.me/qurssan

حبيبة (7 فبراير 2017)

تفاجأ علي بأنني ذهبتُ إلى الفيلا دون الاتصال به، وأنني تخطيته إلى إسماعيل مباشرة، لكنها رسالة كان لا بد من إيصالها إلى هذا الرجل: أنا لستُ أقل منك وأنت لا ترأسني، ولن أخاطبك من وراء حجاب. ظل علي حوالي أسبوع يراقبني من بعيد، ولا يجرؤ على الاقتراب مني، حتى طلب مني إسماعيل أن أنتقل للعيش في الفيلا كما الآخرين، وأن هذه هي الطريقة الأمثل للتعود على حياة المجموعة ومشاركتهم أفكارهم، وبالطبع كانت لدي فكرة عن توابع ذلك المادية، مِنْ تخلٍّ تام عن راتبي لكي يتم توظيفه في مصروفات البيت، لكنني تمسَّكتُ بأن أشارك مجرد مشاركة عينية، وبجزء من راتبي، أي إنهم يكتبون لي قائمة طلبات يحتاجونها من السوبرماركت أو

مـن السـوق، أو أيًّـا مـا يكـون، وأقـوم أنـا بشرائهـا قبـل عـودتي إلى الڤيـلا، وأن راتبـي لـن يمسَّـه غـيري.

لا أعـرف لماذا أثـار هـذا حفيظـة سـميرة عـلى وجـه التحديـد. عرفـتُ فيـما بعـد أنهـا أتـت بـكل ميراثهـا عـن والدهـا، وألقتـه في حِجـر إسـماعيل، وأنهـا أخـذت قرضًـا مـن البنـك بضـمان الڤيـلا والسـيارة التـي تمتلكهـا، لتؤسـس شركـة مقـاولات، ولكنهـا توقفـت عـن اسـتكمال تأسـيس الشركـة، لأن إسـماعيل أخـذ جـزءًا كبـيرًا من القـرض، أرسـله إلى إخوتـه في البلـد لتدبـير شـئونهم. ولم أعـرف عـلى وجـه الدقـة مـا طبيعـة هـذه الشـئون التـي تحتـاج إلى ملايـين الجنيهـات لتدبيرهـا. لم تبـدُ سـميرة متسـامحة مـع هـذا الفعـل، لكنهـا انصاعـت كـما تفعـل دائمًـا، وأصبحـت الآن ككل الباقـين؛ عـلى فيـض الكريـم، غـير أنهـا تقـضي بالبيـت معظـم أيامهـا، فـلا تأخـذ مصروفًـا يوميًـا مثلهـم.

"أنـا مـش عارفـة انتـي بتعامليـنـي كـده ليـه يـا سـت حبيبـة!؟ إنتــي فاكـرة نفسـك مـين هنـا؟ لازم تفهمـي إني سـاكتالك بـس احترامًـا لإسـماعيل، لكـن أنـا أقـدر أحطـك ع الأرض وأدخـل كعـوب جزمتـي دي في عينيـكي الاتنـين، لحـد مـا يخرجـوا مـن الناحيـة التانيـة".

كان لافتًـا لي بشـكل صـادم، أن تتجـرأ وتفتعـل معـي المشـكلات ثـم تبـكي لإسـماعيل، وتشـكيني إليـه كـما الأطفـال. لم أصـدق يومًـا دموعهـا، ولا أعيـد ذلـك إلى الخلافـات الكثـيرة بينـي وبينهـا. هـي سـيدة متبجحـة وجريئـة، تحـاول تعويـض النقـص بداخلهـا. تقـول أمـام الجميـع "أيـوة أنـا كنـت مصاحبـة محجـوب وأنـا متجـوزة.

t.me/qurssan

حبيتـه أعمـل إيـه!؟ لكـن عـلى الأقـل أنـا أشرف وأطهـر مـن نـاس كتـير مـش قـادرة تعـترف بحقيقـة نفسـها ومشـاعرها".

ليـس هنـاك عـلى وجـه الدقـة وصـف محـدد يمكننـي أن أصـف بـه سـلوكياتها معـي، و"تلقيحاتهـا" عـلي، لكننـي أزداد إصرارًا يومًـا بعـد يـوم، عـلى اكتشـاف مـا يـدور في سرايـا المجانـين هـذه.

علاقتـي بأمـي توتـرت بعـد انضمامـي إلى هـذا المـكان. حـذرني إسـماعيل مـن التصريـح لأي إنسـان بمـا نفعـل، أو بالمـكان الحقيقـي الـذي أذهـب إليـه. أمـرني أن أفعـل مثـل الجميـع، وأوهـم جميـع زمـلائي وأقـاربي أننـي أذهـب في مأموريـات عمـل، لكنني لا أسـتطيع الكـذب عـلى أمـي. اعترفـتُ لهـا بـكل شيء. وهـي التـي شـجعتني عـلى المجـيء إلى هنـا، والبحـث خلـف هـذا الرجـل، لعلـه تنظيـم إرهـابي، ولا بـد مـن الإبـلاغ عنـه في الوقـت المناسـب!

لا تـزال أمـي تحتفـظ بالـروح الحماسـية، التـي أورثهـا إياهـا أبي رحمـه اللـه -ضابـط الجيـش الـذي فقـد بـصره في 73، لكنـه أبـدًا لم يفقـد بصيرتـه- كانـت تشـعر بمسـئوليتها الشـخصية عـن كل شيء، "ماسـورة" الميـاه المنفجـرة في الشـارع، وتضايـق المـارة منهـا، قطعـة الأرض التـي تحوَّلـت إلى مزبلـة يلقـي فيهـا السـكان بقايـا معيشـتهم، كـما أخـذت عـلى نفسـها عهـدًا بـأن تـؤدب صاحـب السـوبرماركت الـذي "يبصبـص للبنـات في الرايحـة والجايـة" كـما تقـول، وحقيقـةً هـو لم يَعُـد إلى هـذا الفعـل منـذ عـدة أشـهر، أو بالأحـرى منـذ أن ضربتـه زوجتـه "علقـة" سـاخنة أمـام بنـات الشـارع، بعدمـا أبلغتهـا أمـي بأفاعيلـه.

هـي تعلـم بـكل خطـواتي. وأعطيتهـا رسـمًا كامـلًا للفيـلا مـن الداخـل، وأسـماء الأشـخاص وصـورًا فوتوغرافيـة لهـم، صورتُهـا بهاتفـي المحمـول. كانـت تبـكي كل ليلـة حـين أهاتفهـا سرًا وأبـكي أنـا أيضًـا، لكننـي أعـرف أننـي أفعـل شـيئًا مهـمًا، ليـس ذلـك الـشيء الوهمـي الـذي انخرطنـا فيـه مـع إسـماعيل حتـى آذاننـا، بـل إنـه أمـرٌ أكـثر أهميـة، وأنـا لا أعـرف عنـه شـيئًا حتـى الآن، شـيئ سـيتضح لي حـين أصـل إلى حقيقـة هـؤلاء النـاس، وحقيقـة مـا يفعلـون في هـذا الوكـر.

كانـت تركيـا فرصـة صافيـة لنتقـارب أنـا وعـلي. كانـت غرفتانـا تقعـان متجاورتـين في أحـد فنـادق شـارع بغـداد، شـارع عتيـق يتجـلى قِدَمُـه في كهولـة البيـوت رغـم جمالهـا، وفي الأشـجار التـي تظللهـا عـلى جانبـي الشـارع. أشـعر وأنـا أجلـس تحـت هـذه الأشـجار، أننـي في حضـن جـدتي، حضـن عتيـق مـورق مثمـر، صامـت لكنـه يعلـم ويفهـم مـا أتيـتُ لأجلـه. كانـت التمشـية بـين البيـوت والأشـجار بمنزلـة جلسـات عـلاج روحيـة، أتخلـص فيهـا مـن ذكـرى إسـماعيل وسـميرة.

هـل هـي صدفـة أم ترتيـب قـدري، أن يمتلـئ الشـارع عـلى هـذا النحـو بمحـال فسـاتين الأفـراح!؟ كان عـلي يمسـك بيـدي كلـما صادَفَنـا محـلٌ منهـم، ويأخـذني برفـق إلى "فاترينـة" العـرض. كان يبتسـم لي في انعـكاس صورتنـا في الزجـاج، دون أن يلـفَّ وجهـه ناحيتـي مبـاشرة، ربمـا أراد أن يعطينـي فرصـة لأخجـل أو أرتبـك، وليـداري الزجـاج اختلاجـات أصابعـي في كفِّـه! الفسـاتين رقيقـة

t.me/qurssan

وحالمة، وكلما أثنيتُ على جمالِ أحدهم، يقول لي وهو يضغط أصابعي: "جميل. بس مش قد جمالك لما تلبسيه".

كنا نمشي الشارع كله ذهابًا وإيابًا كل يوم، نجلس لنستريح، ثم نعاود السير، ولكن الغالب على المشهد هو السَّمَر الذي لا يتوقف، ونظرات علي التي تحيل خديَّ إلى حبتي طماطم. وما لم أكن أتوقعه، أن يتصل بي هذا المجنون على تليفون الغرفة في الثالثة صباحًا، ليسألني سؤالًا كان من الممكن أن يؤجله إلى الصباح، لكنني على ما يبدو قد رُزقت في حياتي بالمجانين:

- حبيبة، تتجوزيني؟ جاوبي بسرعة ومن غير تردد آه ولا لأ؟
- لو دلوقتي الساعة 3 الصبح، يبقى طبعًا لأ. لكن لو ممكن تسيبني أنام وتفكرني بالموضوع ده بُكرة، احتمال يبقى أيوة. تصبح على خير!

أغلقتُ السماعة وأنا أكاد أصرخ في سماء إسطنبول، معلنةً حبي لهذا المعتوه، ومحذرة بنات حواء جميعهنَّ أنه لي، ومن ستفكر في الاقتراب منه، سأدفنها حية في مكانها.

آه يا علي! لم أتخيَّل يومًا أن أعيش قصة حب ملتهبة، كالتي عاشتها خالتي "شهيرة". أقرأ عن قصص الحب وأشاهدها في السينما، ولم أصدق يومًا أنها موجودة، وأن أبطالها دخلوا إلى عالم الكتب والحكايات من بوابة الواقع. حتى "طنط" شهيرة نفسها لم تتخيل أن حكايتها مع "أونكل" رؤوف، ستصير حديث العائلة والأصدقاء والجيران.

كانا شابين مراهقين، حين انتقلت أسرة جدي إلى المهندسين. كان أونكل رؤوف ما زال تلميذًا في المدرسة الثانوية القابعة على ناصية الشارع، وكانت مدرسة طنط شهيرة الثانوية أيضًا تقع على بُعد شارعين. وقع الفتى الغضُّ في حب بنت الجيران، وبدأت محاولات الغمز وحديث البلكونات المتقابلة في "أنصاص الليالي". كان ينتظرُ أمام مدرسته حتى تمر هي، ثم يتبعُها إلى مدرستها، وهكذا أثناء العودة إلى البيت. عامًا كاملًا وأونكل رؤوف يمشي خلفها من البيت إلى المدرسة والعكس، حتى ظهرت نتيجة الامتحانات، ودخلت هي كلية الحقوق ودخل هو كلية الهندسة.

- طيب يا رؤوف يا بني، إنت مش شايف إن الخطوبة كده هتطول أوي؟

- يا عمي أنا جيت لحضرتك دوغري وبصراحة، وأوعدك إن الأمور تمشي زي ما تؤمر لحد ما نتخرج ونتجوز على طول. دول كلهم سنين الكلية بس، وأهو بالمرة نكون حضرنا الشقة على مهلنا.

- وهو كذلك، خير البر عاجله. اندهي لشهيرة يا حاجة عشان تحضر قراية الفاتحة، على بركة الله.

عاشا أيام الحب التي نشاهدها في الأفلام الأبيض والأسود. جوابات الغرام المُلقاة في البلكونة، وممسوكة بمشبك الغسيل، مكالمات منتصف الليل بعد أن ينام الجميع، خروجات اللب والترمس على النيل بعد المحاضرات. وبعد التخرج توفرت لأونكل رؤوف فرصة سفر إلى أمريكا، براتب مثالي بمعايير وقته،

t.me/qurssan

لكـن جـدي رفـض وفسـخ الخطبـة. كان رحمـه اللـه يحـب ابنتيـه ولا يطيـق فـراق واحـدة منهـما.

زوَّج جـدي خالتـي شـهيرة مـن ابـن أحـد أصدقائـه، وسـافر رؤوف إلى عملـه بعـد زواجهـا مبـاشرة. لم يعرفـا شـيئًا عـن بعضهـما البعـض. ثلاثـون عامًـا عاشـتها طنـط شـهيرة مـع زوجهـا، حيـاة كاملـة قضياهـا معًـا، تخـرج أولادهـما وتزوجـوا وأنجبـوا، ثـم مـات زوجهـا.

- وهترجعـي تعيـشي لوحـدك في المهندسـين ليـه يـا أمـي؟ مـا تخليـكي عايشـة في شـقتك أو تعـالي عنـد حـد مننـا.

- معلـش يـا بنتـي سـيبيني عـلى راحتـي، أنـا بتنفـس أحسـن في شـقة المهندسـين.

ولـو تواعدتـم لاختلفتـم... حـين عـاد أونـكل رؤوف بعـد غربـة ثلاثـين عامًـا، لم تطـق زوجتـه الأمريكيـة الحيـاة في دولـة ناميـة في العـالم الثالـث، زادت الخلافـات... انفصـلا. عـاد هـو الآخـر ليتنفـس أفضـل في شـقة المهندسـين.

رآهـا جالسـة حيـث التقـت عيونهـما للمـرة الأولى، في البلكونـة القديمـة ذات الدرابزيـن الخشـبي المزخـرف، والأرضيـة الضعيفـة، التـي تهتـز وترتعـش إذا مـرَّت تحتهـا سـيارة ذات موتـور قـوي، وتصـدر صوتًـا عاليًـا.

"قـول ورايـا يـا عريـس، إني اسـتخرتُ اللـه تعـالى وأطلـبُ الـزواج منـكِ لنفسي وبنفـسي...".

بَـدَت كالقمـر المكتمـل في "التايـير" الأبيـض ذي الأكـمام "الدانتيـل". كانــت وجنتاهــا تنضـح حــمارًا وهــي تــردد خلــف المــأذون: "زوجتـك نفـسي بنفـسي عـلى كتـاب اللـه وسـنة رسـول اللــه...".

يستعيدُ جسـدي الآن قشـعريرة تلـك اللحظـة، التـي مـرَّ عليهـا عـشر سـنوات، حينـما كانـت دموعـي تنسـاب ولا أعـرف السـبب. يقولـون إنهـا دمـوع الفرحـة. عـشر سـنوات زواج وأربعـون سـنة حـب، منـذ التقـت قلوبهـما أول مـرة.

هـل تجعـل دمـوع الفرحـة تنسـاب منـي مجـددًا يـا عـلي؟ هـل تجعلنـي أقشـعرُ خجـلًا حـين تـرددُ خلـف المـأذون: "وأنـا قبلـتُ زواجهـا"؟!

t.me/qurssan

باسم (15 فبراير 2017)

أصبحت هذه هي طبيعة العلاقة بيني وبين إسماعيل. علاقة معقدة مُربِكة لا أكاد أفهم لها رأسًا من رجل، علاقة زوجين لا يستغنيان عن بعضهما البعض، ولا يطيقان الحياة متجاورين!

هو لا يضع الحواجز بيني وبينه على الإطلاق، وكلما حسِبتُ ذلك شكلًا من أشكال التقدير والقُرب، يفعل ما يجعلني أعدل عن تفكيري فورًا. عقوباته لي تختلف عن عقوباته لأفراد المجموعة كلها؛ تحمل من الإهانة وكسر النفس، ما يجعلني أفكر كل يوم بالفكاك من قيوده وتدريباته وأوامره. لكنني مثل أفراد المجموعة كلهم، نخشى بطش الجهاز الذي يتبعه، حتى وإن لم نُصرِّح لبعضنا البعض بذلك، ونتظاهر بأننا نجلس هنا طواعية، وأننا سنخدم البلد حبًّا فيها وتضحية من أجلها.

لا، الحقيقة أننا جبناء لا نقوى على أن نتحدى هؤلاء الوحوش، الذين نسمع عمًّا يمارسونه داخل سجونهم ومعتقلاتهم. وهو ما لا يختلف في الحقيقة عن العقوبات التي أتعرض لها داخل الڤيلا.

كان من المفترض أن أستيقظ في التاسعة صباحًا، كي أصحب ناديا وابنتها مريم إلى طبيبة الأطفال، التي تقوم بالكشف الدوري على البنت. ولأنني كنتُ أتأرجح بين نبطشيات المستشفى وشركة الأدوية ليومين متتاليين، وعدتُ إلى البيت في السادسة صباحًا، نمتُ إلى العاشرة، ولم أستيقظ إلا على نغزات إسماعيل في كتفي وأنا نائم. وجدته يرفعُ عني "الجيبة" التي كنتُ أرتديها حسب تدريبي، ويشير إلى الشعيرات المنتشرة على ساقي:

- إيه القرف ده! إنتي لسه نايمة يا بروطة يا حيوانة؟!
- أنا هقوم حالًا أهوه. هي الساعة جت 9؟
- تقومي إيه قامت قيامتِك. فزي روحي مشوارك مع ناديا ولما ترجعي يحلها الحلال.

كانت فرائصي ترتعد وأنا أسترجع مشهد الجبن الرومي، ولا أعرف ماذا سيفعل بي هذه المرة. واكتشفتُ حين العودة إلى الڤيلا بعد ثلاث ساعات، أن الوقت لم يسحب من غضبه شيئًا، وأن خيالي في تصور العقاب كان قاصرًا. منعني من الخروج من البيت طوال اليوم، و أمرني أن أجلس في غرفتي لا أخرج منها، حتى يعود جميع الأفراد من أعمالهم في المساء، وحينها سأعرف

t.me/qurssan

ما ينتظرني. مرَّت الساعات ثقيلة لا أنا مستيقظ ولا أنا نائم، وقوع البلاء ولا انتظاره. كان يقتلني ببطء، وحين اجتمع الأفراد وأرسل سميرة لتحضرني، تمنيتُ لو طال انتظاري إلى الأبد.

حينما دخلتُ إلى غرفة الاجتماعات، وجدتُ إسماعيل وناديا ومحجوب وبربنط وعلي وحبيبة، ودخلتْ سميرة خلفي.

- اقلعي يا فوزية!

- نعم؟

- اقلعي هدومِك كلها وخليكي بالبوكسر.

نظرتُ إلى عيني ناديا التي طأطأت رأسها إلى الأرض، وسميرة التي وقفت تعقد ذراعيها إلى صدرها، وتنظر في عيني مباشرة، وأظنني لمحتُ شبح ابتسامة يخيم على شفتيها.

- احنا هنا كلنا واحد، مفيش فرق بين بت وواد، وناديا وسميرة وحبيبة اخواتِك في الأول وفي الآخر. يلا يا فوزية اقلعي.

- مقدرش أقلع قدام ستات.

- هاهاها مانتي دلوقتي ست زيهم. لو مقلعتيش من نفسِك لحد ما أعد 10، هخلي الولاد يمسكوكي ويقلعوكي بالعافية وهسحِلِك عريانة. واحد، اتنين، تلاتة، أربعة... عشرة. قلعوها يا محجوب.

- تنهَّد محجوب كأنما المهمة ثقيلة عليه هو أيضًا، وأمسك بذراعيَّ إلى الخلف، بينما لم يتحرك بربنط ولا علي، فضرب

إسـماعيل بربنـط عـلى قفـاه طرحـه مـن الكنبـة إلى الأرض:
"مـش سـامعني بقـول قلعـوه يـا اخـرس انـت؟!".

أمـر محجـوب أن يأتيـه بالحبـل، وربطنـي مـن رقبتـي وجرجـرني أرضًـا عـبر الغـرف الثـلاث، وأنـا لا أسـمع إلا صـوت بـكاء لا أعـرف مصـدره، وصوتـه كان الأعـلى والأبـرز، لم أتبـين منـه إلا كلـمات: الأخـوة، المسـئولية، التدريبـات، الرجولـة، الإرادة. ثـم بـدأت الأصـوات تتداخـل والأرجـل تعـبر مـن فوقـي، والظـلام يحـلُّ شـيئًا فشـيئًا.

t.me/qurssan

محجوب

تعمَّـق إحسـاسي بشرعيـة علاقـاتي بعدمـا علـم بهـا إسـماعيل، كان يلعـب معـي لعبتـه الشـهيرة "أنـا ميعجبنيـش الحـال المايـل، والـلي بتعملـه ده آخرتـه وحشـة". كنـتُ أرتعـد مـن الجملـة، وأتذكـر كل كـوارثي ومصائبـي، وأحـاول أن أستشِـفَّ مـن كلماتـه أي كـوارثي وأحـوالي المائلـة يقصـد.

كنـتُ. أمـا الآن وقـد أصبحـتُ الممـوِّل الأكـبر لمصروفـات المجموعـة، مـن إيجـار إلى أكل إلى شرب إلى ملبـس إلى جـولات ترفيهيـة وسـفر، أصبحـتُ لا أخـشى كلماتـه المسـتفزة المتجـبرة. أنظرُ في عمـق عينيـه، وأسـتمتع برؤيـة الكـذب يتلـوَّن بـين الخـوف مـن أن يتـم اكتشـاف حقيقتـه، والتخفـي وراء الصـوت العـالي والعصبيـة المفرطـة. أسـتمتعُ برؤيتـك يـا إسـماعيل وأنـت تـداري خوفـك وارتبـاكك، وتلفيـق الكذبـات في ذيـل الكذبـات. وأصبحـت خطيئتـي

في مواجهة خطاياك، وليس هناك من يلوي ذراع الآخر، فكلتا ذراعينا مقطوعتان.

فتاتي الجديدة ليست من بنات الطرقات كسابقاتها. "يارا" ممثلة شابة في الفيلم الذي أصوِّره حاليًا. شابة سنًّا وجسدًا وروحًا. خطفتني من كهف الكهولة الذي دخلته منذ زواجي من "أم أويئ" الباكية دائمًا. أتعجل الأيام التي تأتي فيها لتصوير مشاهدها، أراقب عنفوان سلوكها وتحمُّلها لإعادة المشاهد، بصبر ومثابرة حتى يظن الجميع أنها لن تفعلها، ثم تجدها فجأة تتألق وتجمع تصفيق "الكاست" كله، ونظرات الانتصار تتقافز في عينيها كطفلة مجتهدة. لن أبالغ وأقول إنني أحببتُها، لكنها أصبحت ذات أهمية في يومي كي يستقيم، كفنجان القهوة الصباحي والسيجارة التي تصحبه.

لا أعرف لماذا لم أحاول أن أقربها أو أن أستدرجها إلى أي شيء كما كانت نيتي، أو فلنقل كما هي رغبتي. هل أنا خائف من ردة فعلها؟ هل أنا أحترمها مثلًا!؟ هل أخشى على طفولتها البريئة من قذارتي؟ لا أعرف. لكنني طلبتُ منها ذات يوم أن تعرفني على والديها، وكان ذلك مفاجأة لها ولي على حد سواء. فأنا لم أكن أخطط لذلك، ولا أرغبه حقًّا، فلماذا تهورتُ وطلبته بهذا الإلحاح؟ يبدو أنه لم يكن لساني، كان لسان القدر الذي أراد أن يوقع إسماعيل في الشَرَك الذي صنعه بنفسه.

"ماهر ممدوح" والد صديقتي الجديدة، ضابط بأمن الدولة ذو رتبة عالية. توطدت علاقتنا سريعًا، ربما على أمل منه أن أخطب ابنته، وربما يكون ذلك في إطار توسيع شبكة علاقاته

t.me/qurssan

علـى عـدة مسـتويات اجتماعيـة. لكـن الأهـم مـن ذلـك، أن تلـك العلاقـة أصبحـت عـلى ثقـة متبادلـة مـن طرفينـا، جعلتـه يحـكي لي عـن بعـض الملفـات التـي هـو مسـئول عنهـا في الجهـاز، وحكيـت أنـا عـن زميلـه السـري، قائـد المجموعـة أ، "إسـماعيل عبـد القـادر الصعيـدي".

t.me/qurssan

بربنط

أراد إسماعيل أن يدخل كلية الشرطة مثلما فعل ماهر ابن الضابط ممدوح، ومؤهلاته الجسدية كانت تسمح بالفعل، لكن مؤهلات العائلة والنسب لم تكن لتسمح. الشيخ عبد القادر لم يصبح ذا بالٍ لمتطلبات عياله الكثيرين، ولم يبقَ له إلا أمه فتحية، التي توددت إلى زوجة الضابط ممدوح حتى يتوسط لابنها. والحقيقة أن "الحاجة فوزية" لم تدخر جهدًا، وبفضل "زنِّها" على زوجها أصبح لإسماعيل مكانٌ في كلية الشرطة، ثم في جهاز أمن الدولة.

هذا الجهاز كان حلم إسماعيل منذ طفولته، ربما دون أن يعلم هو نفسه ذلك، ولم يعلنه صراحة. لكنه كان يتقصَّى أخبار الآخرين بشغف، يستمتع بالهبوط على الناس في بيوتهم، في أوقات مفاجئة، كأنه يضبطهم بفعل فاضح، كلما وجد مجموعة

مـن زملائنـا يتهامسـون، سـار إليهـم بخطـى بطيئـة، ووقـف عـلى مقربـة منهـم يسـمع مـا يقولـون. كنـتُ أقـول لنفـسي، كل شـخص لـه محاسـنه ومسـاوئه، وإن الإنسـان كلـما كـبر ازداد عقـلًا واتزانًـا، وتخـلى عـن كثـير مـن هفواتـه.

حتـى فـترة خصامـه لأبيـه وأمـه، ظننـتُ أنهـا خلافـات عاديـة كالتـي تحـدث بـين الآبـاء والأبنـاء، لكـن الخلافـات العاديـة لا تسـتمر أبـدًا إلى ثـلاث سـنوات، عاشـها إسـماعيل معهـم في نفـس البيـت لا يحادثهـم ولا يـردُّ عليهـم. يدخـل المطبـخ ليـأكل بنفسـه، ولا يلتـف معهـم حـول طبليتهـم الخشـبية الصغـيرة، اشـترى لنفسـه تلفزيونًـا صغـيراً مسـتعملًا، كي لا يشـاركهم لحظـات سـمرهم آخـر الليـل. وحـين مـرض أبـوه مرضـه الأخـير، توسَّـط إخوتـه وأعمامـه ليذهـب إلى أبيـه الراقـد في بيـت زوجتـه الثانيـة، وأن يطلـب منـه السـماح عـلى مـا فـات، رفـض وأقسـم أن لـو مـات أبـوه، لـن يحضر غُسـله ولا دفنـه، وهـو مـا حـدث.

t.me/qurssan

حبيبة (21 مارس 2017)

تقـول الحكمـة "لا تنـدم أبـدًا، فلـو كان المـاضي جيـدًا فهـذا رائـع، ولـو كان سـيئًا فهـذه خـبرة". لكننـي الآن أنـدم، لا لأن المـاضي سـيئ، بـل لأن الواقـع هـو السـيئ، والمسـتقبل ليـس متوقعًـا لأن يكـون أفضـل.

كأننـي لا بـد أن أسـتأذن إسـماعيل بـك قبـل أن أشـتري شـيئًا لأمـي، كأننـي أصبحـتُ أسـيرة هـا هنـا، ولم أعـد أحتكـم في ممتلـكاتي بعـد الآن! بعـد عودتنـا مـن تركيـا كنـتُ أشـعر بفخـر الجَلَـد والتحمُّـل، لكننـي شـعرتُ بغصـة الوحـدة وكسر الظهـر، حـين عاقبنـي إسـماعيل لأول مـرة. كانـت أمـي تفقـد نـور عينيهـا رويـدًا رويـدًا، وأجمـع الأطبـاء عـلى ضرورة ارتـداء نظـارة، أو إجـراء عمليـة "ليـزك" لتصحيـح النظـر قبـل أن يضعـف نظرهـا إلى درجـة معينـة. أنفقـت مرتبـي -شـبه كامـل- عـلى عمليـة أمـي،

وكان مـن إسـماعيل مـا لم أكـن أتوقعـه. خاصمنـي وحبسـني بمـا تعنيـه الكلمـة، وأمـرني أن أجلـس في غرفتـي مـدة أسـبوعٍ كامـل، لا أخـرج منهـا إلا إلى الحـمام، كأننـي في سـجن انفـرادي. كان أمامـي أحـد خياريـن؛ "أقلـب الترابيـزة" عليـه وعـلى مجموعتـه وتدريباتـه وأوامــره ونواهيــه، أو أن أتحمــل حتــى أخــرج مــن هنــا بعــلي، بإرادتـه أو رغـمًا عنـه.

كانـت عيـون سـميرة تلمـع كالنجـوم، حـين تدخـل إليَّ في غرفتـي تضـع لي صينيـة الطعـام عـلى الأرض، ثـم تخـرج دون أن توجِّـه إلي كلمـة، وهـذا عـلى أفضـل تقديـر، ولكنهـا في الأغلـب كانـت توبِّخنـي عـلى خطـأي بطريقـة أو بأخـرى. يأتينـي الأكل في نفـس مواعيـد الأكل الجماعـي للمجموعـة، أنـا أجلـسُ وحيـدة في الغرفـة، آكل عـلى الأرض، وحبيبـي يجلـس إلى السـفرة خـارج البـاب، عـلى بُعـد خطـوات، يـأكل جنبًـا إلى جنـب مـع مـن يذلنـي الآن ويتلـذذ بوحـدتي.

كنـتُ كلـما رفعـتُ الملعقـة إلى فمـي تَطَرَّقـتْ إلى أذني ضحكاتهم مـن السـفرة، أو صـوت تسـامرهم وحكاياهـم بعـد الأكل. كانـت دموعـي تتسـاقط داخـل الأطبـاق، وأمسـحها مـن وجهـي بسرعـة، قبـل أن يدخـل إليَّ أحدهـم ويشـمت بانكسـاري. كنـتُ لا أقـرب الأكل في أغلـب الأيـام، فقـط آخـذ بعـض مـا في الأطبـاق، وألقيـه مـن شـباك الغرفـة، وأغمـد الملعقـة في كل الأطبـاق، حتـى تحمـل رائحـة ولـون الأطعمـة، بينـما لم ينغمـس لسـاني في شيء. يكفينـي ألمُ مـا انغمـس فيـه قلبـي.

t.me/qurssan

أشـدُّ الألم أيـام كان عـلي يجلـس إليهـم يضاحكهـم، ويشـاركهم مـا يفعلـون، ويتركنـي ملقـاة في غرفتـي كالكلـب الأجـرب، لا أخـرج إلا إلى الاسـتحمام، وأقطـع الطريـق مـن غرفتـي إلى الحـمام هرولـة، كي لا يـراني إسـماعيل، فقـد كان الأمـر ألا يـراني في مـدة العقـاب ولـو صدفـة، وإلا سـيضربني أمـام المجموعـة كلهـا. كان يتلـذذ بـأن نخـاف منـه جميعًـا، وأن يشـم رائحـة الشـياط تخـرج مـن أجسـادنا مـن شـدة الخـوف.

لم يكـن مـن شيء يهـوِّن تلـك الأيـام، سـوى ناديـا وابنتهـا مريـم. كانتـا تأتيـان لمجالسـتي خلسـة، دون أن تـدري سـميرة، حتـى لا "تقطِّـم" ناديـا بكلماتهـا الناريـة. كانـت تجلـس معـي وتتحمـل راضيـةً مشـاركتي وحـدتي، في الوقـت الـذي كان الباقـون يجتمعـون في سـهرتهم اليوميـة، يشـاهدون التلفزيـون، ويدخنـون السـجائر، ويلعبـون "البـلاي ستيشـن".

كانـت مكالمـات أمـي أيضًـا مـن المهوِّنـات العظـام. كنـتُ أنتظـر حتـى ينـام إسـماعيل وأهاتفهـا بالسـاعات، أسـألها عـن تفاصيـل يومهـا، كـما كنـتُ أفعـل حـين أعـود مـن العمـل. كنـتُ ألتصـق بهـا في المطبـخ، أحـكي لهـا مـا حـدث لي منـذ تركتُهـا في الصبـاح وحتـى أعـود، كنـتُ كذلـك مـن أيـام المدرسـة وحتـى أصبحـتُ مديـرة قسـم في مـكان مرمـوق، لم تمُـت بداخـلي تلـك الطفلـة اللصيقـة بأمهـا أبـدًا. والآن أحـكي لهـا تفاصيـلي بعـد اقتطـاع جـزء كبـير مـن حقيقـة مـا أنـا فيـه.

يقولـون إن السـجين يتأرجـح بـين احتمالـين لا ثالـث لهـما. أولهما أن يؤنـب نفسـه عـلى مـا فعـل، وأن يخـرج إلى العـالم إنسـانًا جديـدًا

غير الذي دخل، وثانيهما أن يوقن أنه ظُلِمَ ظلمًا موجعًا ويكره كل من خارج الأسوار، ويتضخم يومًا عن يوم ليصبح وحشًا لا تحتويه قضبان القفص، ينتظر الخروج بالثواني والدقائق حتى ينهش من حبسوه، لا يترك بهم لحمًا ولا عظمًا، وهنا أيضًا يخرج شيئًا جديدًا غير الذي دخل. ترى على أي حال سأخرج من سجنك يا إسماعيل!؟

t.me/qurssan

علي (23 مارس 2017)

"كيف تنظر في عيني امرأة أنت تعرفُ أنك لا تستطيعُ حمايتها؟ كيف تصبحُ فارسها في الغرام؟ كيف ترجو غدًا لوليد ينام؟ كيف تحلم أو تتغنى بمستقبلٍ لغلام وهو يكبر بين يديك بقلب مُنكَّس؟ كيف تنظرُ في عيني امرأة أنت تعرفُ أنك لا تستطيع حمايتها؟ كيف تصبح فارسها في الغرام...".

كلماتٌ كنتُ أراها عادية، بل أقل. إلى أن أحببتُ حبيبة. لا أعرفُ إن كنتُ ماهرًا في المُداراة أم لا، لكنني حاولتُ قدر المستطاع أن أخفي تعاطفي معها. أعرف إسماعيل جيدًا ككف يدي هذا، حين يلمحُ في عين أحدنا تمسكًا بشيء ما، يفعل الأفاعيل كي يأخذه منه أو يبعده عنه.

لم أكن أريد أن ألفت نظر العالم إلى هذا الحب العظيم في قلبي لكِ. لكنني كنتُ أترفقُ بكِ في سجنك، علمتِ ذلك

أم لم تعلمي. كنتُ أرسل ناديا لتجلس إليكِ وتؤنسك، كنت أعرف أنك لا تأكلين ما تقدمه لك سميرة، كنتُ أبعث لك بأطباق أخرى مع ناديا، دون أن تعلمي أنها منّي. كنتُ أحاول التخفيف عنكِ، بعيدًا عن مراقبة عيونه وعيونها يا حبيبة. كنتُ أتعمد أن أُحدث ضجيجًا خارج غرفتك بعد أن ينام إسماعيل، كي تفهمي أنكِ أصبحتِ حرة لبضع ساعات، تتجولين فيها خارج الغرفة، وتنظرين إلى جدران أوسع. كنتُ أدَّعي أنني آكل معهم، لكنني لا أفعل إلا بعد أن تُخرِج سميرة صينية الطعام من غرفتك، وأتأكد أنك أكلتِ. لم أخنكِ أبدًا يا حبيبة، بل كنتُ حبيسًا معكِ في سجنك أعاني ما تعانين، لكنني خفت على هذا الحب من أن تفضحه عيوني، فأخسركِ إلى الأبد.

أصبحتُ متأكدًا أن أيامي في حِجر إسماعيل في أفول، وأنه سيأتي يوم قريب تطلع علينا الشمس -أنا وأنتِ- في مكانٍ بعيدٍ عن هنا، ليس بالضرورة أن يكون بعيدًا بالمسافة، لكن القلب سيكون بعيدًا يا حبيبة عن كل هذا الهراء.

يقولون إن الجِلْد هو خط الدفاع الأول عن الجسم، هو الذي يتلقي كل الضربات الخارجية، ويصدها إن استطاع. كنتُ أنا جِلدُ إسماعيل وظهره، وعقله المدبر وذراعه المنفِّذ. تبًّا! ماذا إذًا كنتَ أنتَ يا إسماعيل؟ ماذا كان فيك لنفسك؟ كيف كان عقلك أنتَ وظهرك أنت وذراعك أنت؟

كانت ناديا تقول لي في خروجاتنا المختلسة، حين أوصلها إلى مكانٍ ما، إنها باتت تحيا مع رجل هجين، ليس له أصل، لا أصل مبدأ ولا أصل اعتقاد ولا أصل لغة ولا أصل دين، ولا أي

t.me/qurssan

أصـل يرتـد إليـه حـين يتـوه، كـما يفعـل الراشـدون، أو بالأحـرى الطبيعيـون. كان شـيئًا مـا بـين الخـوخ والتفـاح، بـين المانجـو والبطيـخ، بـين الخيـار والطماطـم، بـين البيـاض والسـواد، لا إلى هـؤلاء ولا إلى هـؤلاء. كانـت تعتقـد أن روحـه حـين يمـوت، سـتظل معلقـة بـين السـماء والأرض، لـن يقبلـه تـراب الأرض، ولـن تسـمح بصعـوده ملائكـة السـماء.

أحـاولُ قـدر المسـتطاع التخفيـف عنهـا هـي تحديـدًا، كلُنـا يمكننـا أن نـترك هـذا السـجن ونرحـل عنـه في أي وقـت، إلا هـي. رابطتهـا بـه تخطَّـت كونهـا علاقـة الفـرد بالقائـد، والتابـع بالمتبـوع، والآمـر بالمأمـور، والشـيخ بالمُريـد. علاقتهـا بـه أصبحـت تحبـو الآن عـلى ركبتيهـا، وتسـتند إلى حـواف الكـراسي والجـدران، كي تقـف وتخطـو خمـس خطـوات، ثـم تقـع عـلى الأرض ضاحكـة، رغـم ألم الارتطـام. علاقتهـا بـه اسـمها مريـم.

كانـت ناديـا تـردد لي دائمًـا الجملـة الشـهيرة، بـأن مـن يريـد أن يغـير العـالم، فليهتـم بترتيـب غرفتـه أولًا. كانـت تدفعنـي دفعًـا للهـروب بحبيبـة مـن هـذا المعتقـل، ذلـك أولى بي مـن الانخـراط في عمـل وطنـي، ليـس لـه ملامـح حتـى الآن. فالفتـاة عـلى حـد قولهـا "بنـت نـاس" ولـن تقـوى عـلى مـوت النفـوس، الـذي تعوَّدنـاه نحن. كانـت تريـني صـور حبيبـة التـي كانـت تضعهـا عـلى فيسـبوك، قبـل أن تتعـرف عـلى إسـماعيل، وصورهـا الآن بعـد عـدة شـهور مـن حياتهـا معنـا:

"شـوف تحـت عينيهـا بقـى إسـود إزاي! شـوف وشـها بقـى دبـلان ازاي! فاكـر أول مـا عرفناهـا كانـت بتتنطـط وبتضحـك

بصـوت عـالي، ودلوقتـي يـا دوب بتبتسـم. شـوف بقـت مهـزوزة وفقـدت كل ثقـة بالنفـس ازاي! شـفت المكان ده عمـل فيهـا إيـه!؟ خدهـا مـن هنـا واهـرب يـا عـلي. الوطـن هـو أقـرب النـاس لينـا، لـو فقدناهـم نبقـى فعـلًا فقدنـا الوطـن".

أقسـم أن أعوِّضـك يـا حبيبـة، أقسـم أن أفـرش لـك حيـاة لم تكـوني تحلمينهـا في أفضـل تصوراتـك ومخططاتـك لنفسـك. آخـذ عـلى نفـسي هـذا العهـد الآن، لا يشـهدُ عـلي سـوى اللـه، وهـذه الأوراق. وأقسـم أن تنتهـي آلامـك في ڤيـلا إسـماعيل الصعيـدي قريبًـا جـدًّا، أقـرب مـما تأملـين.

إذا كانـت اسـتعادتي لعـزة نفـسي في عيـون أخـي الأصغـر، هـي مـا دفعنـي لتحمـل كل مـا فـات، فـماذا يجـب عـليَّ أن أفعـل لأسـتعيد عـزة نفـسي في عـين حبيبتـي!؟ حبيبتـي التـي زججـتُ بهـا بنفـسي إلى هـذا المسـتنقع. هـل كان الجيـش الـذي تهربـتُ منـه أسـوأ مـما أفعلـه بنفـسي الآن؟ هـل كان يحمـل كل هـذا الـذل وكل هـذه المهانـة؟ وهـل عندمـا تحتقـرني حبيبـة سأسـتعيد احـترام أخـي!؟ وجـودي هنـا يفقـدني احترامـي لرجولتـي يـا حبيبـة، لـن أقـوَ عـلى رؤيـة العتـاب في عينيـكِ، كنـتُ أظننـي آتي بـكِ إلى أفضـل مـكانٍ في الدنيـا. وكـما أتيـتُ بـكِ إليـه بيـدي سـأخرجك بيـدي.

t.me/qurssan

محجوب (25 مارس)

أفكرُ وأنا أكتب هذه الصفحات في زوجتي وابنيَّ. تبًّا! هي لم تعد زوجتي بعد، ولكني لا أشعر لي بزوجة غيرها. لا سميرة ولا غيرها، احتلت مكانك في حياتي يا سامية. هؤلاء رفيقاتي، عشيقاتي، مُفرِغات نزواتي، لكن الزوجة أنتِ والسكن أنتِ والشريكة أنتِ، وما غير ذلك كذبة كبيرة كذبتها على نفسي.

ياسين ومحمد، هل سيسامحاني على ما تورطتُ فيه وورطت أمهما معي!؟

كنتُ أشعر أن إسماعيل يفعل شيئًا ما خفيًّا، لكنني لم أتخيل مُطلقًا أن الشيء الخفي هو الحقيقة كاملة، وأن ما نعتبره نحن حقيقة ليس إلا فقاعة كبيرة، نعيش بداخلها جميعًا كل هذه السنوات.

حين سمع ماهر والد يارا اسم إسماعيل، أبدى انتباهًا كبيرًا، جعلني أستعرِض بفخر التدريبات السرية التي نقوم بها، والتي بمقتضاها يعيش أفراد المجموعة مع إسماعيل، والتي بمقتضاها أيضًا نقوم بتسليم مرتباتنا لسميرة، كي نصبح -مجتمعين- المسئولين عن نفقات البيت والمعيشة.

كان الرجل يسمع باهتمام أكثر من الذي أحكي به أنا، لم يقاطعني، ولم يسألني، ولكن شغف عينيه جعلني أسترسل، حكيتُ باستفاضة عما حدث منذ تعرفتُ إلى إسماعيل، حتى هذه اللحظة التي أجلس فيها إلى جواره. وضع الرجل يده على عينيه، وطأطأ رأسه إلى أسفل، وحين أخذ هذا الوضع وقتًا أكثر مما ينبغي، وضعتُ يدي على كتفه أسأله إن كان بخير. رفع يده من فوق عينيه ونظر إلي، ثم انفجر ضاحكًا، تعلو ضحكته تدريجيًا حتى اعتدل في جلسته، ثم هبَّ واقفًا وهو ما زال مستمرًا في الضحك. يلف حول المنضدة التي جلسنا حولها، وهو يضحك ويُصفِّق بيديه انبهارًا من شيء ما. وعندما بدأتُ أتململ وأتبعه بعيني رواحًا ومجيئًا، توقف أمامي مباشرة وقال بثقة:

- براڤو. حقيقي براڤو.

- اعذرني يا ماهر بيه. مش فاهم!

- إسماعيل عبد القادر الصعيدي، براڤو عليه، لسه فيه نَفَس ولسه بيلعب، واحنا اللي فاكرينه اتهدّ واعتزل من زمان.

- أنا آسف. بردو مش فاهم يا ماهر بيه!

t.me/qurssan

- إسماعيل يا بني ده عِشرة العمر كله. بلادياتي وصديق طفولتي، أو يعني نِدّ طفولتي. كان لعب عيال وشقاوة أطفال بيتنافسوا على أي حاجة وكل حاجة، لكن أنا من قلبي مكنتش بكرهه، كنت بحب أناغشه بس، وأثبت إني أشطر منه، كنت عيل بردو وعايز يثبت رجولة. كبرنا سوا واشتغلنا في نفس الجهاز، لحد ما إسماعيل اتمسك في قضية رشوة، قضية كبيرة الجهاز كله اتكلم عنها، والفضيحة بقت بجلاجل لدرجة إن محدش قدر يغطي عليها. وتحريات الرشوة فتحت عليه فاتحة واسعة. من كسب غير مشروع لـ تحرُّش لـ استغلال سلطات. واترفد من الجهاز.

- اترفد؟ بس كده؟!

- ما هو يا بني أيام ما كان الجهاز في عزه، كان نادرًا لما ظابط يتحاكم، ما بالك بأمن الدولة! المهم، هو من ساعتها اختفى اختفاء مريب. ساب الأقصر ومحدش عرف راح فين ولا بيعمل إيه. واللي جه في الأذهان ساعتها، إنه مكتئب ومش عايز يظهر لحد ومكسوف من نفسه مثلًا. بس زمايله اللي كانوا مقربين منه وبيحاولوا يساعدوه، فضلوا يدوروا عليه لحد ما عرفوا إنه بيتعالج عند دكتور نفسي. كان مش قادر يستوعب إنه مبقاش ظابط يأمر وينهي ويتحكِّم، عشان كده ساب البلد قبل ما يتعرف وسط الناس إنه اترفد.

لم أتفوَّه بكلمة ولم أقاطعه كما لم يقاطعني هو. لم أدرِ ماذا أفعل ولا ماذا أقول. تركتُ الرجل فجأة وانصرفتُ على

غـير هـدى. لم أسـتطع الذهـاب إلى الڤيـلا ولا حتـى إلى الاسـتوديو، الأماكـن كلهـا مغلقـة أمامـي، وأنـا في حاجـة إلى مـكان مفتـوح بقدر التفكـير المفتـوح، الـذي لا أسـتطيع أن ألملـم أطرافـه. دارت أمامـي السـنوات الماضيـة؛ تدريبـات الطاعـة وتدريبـات التلصـص، والتخـلي عـن الهويـة. هـل كنـتُ كل هـذه السـنوات أطيـع مجنونـًا!؟

t.me/qurssan

باسم (30 مارس)

أخيراً سمح لي بزيارة خاطفة لأمي وأخواتي. بكيتُ لأول مرة في حضن أمي، حتى كاد نَفَسي يغيب وكدتُ أن "أسورق" كما تقول هذه السيدة البسيطة، التي "دفستُ" رأسي بين نهديها، مطمئنًا لأن أعطي ظهري للعالم وأنام. صدَّقتني حين ادعيتُ أن كل هذا البكاء، إنما هو نتيجة الافتقاد والاشتياق، نتيجة الوحدة التي أعيشُها في القاهرة بين المستشفى والشركة، فما كان منها إلا أن قدمت لي الحل المفيد من وجهة نظرها:

"اتجوز يا بني وشوفلك وليفة تدفي البيت وتقسم معاك حلوك ومُرّك. الجواز سُترة للراجل زي الست. وعروستك عندي".

تحايلتُ كثيراً على مجالات الحوار بيننا، حتى استطعتُ أن أفاتحه في الأمر، لكنه يأتي دائمًا بعكس ما هو متوقعٌ منه. وافق إسماعيل على الزيجة، بل رحَّب بها. كنتُ أحجب الأمر

عـن فكـري، لأننـا منشـغلون دائمًـا في التدريبـات والعمـل داخـل الڤيـلا وخارجهـا، وظننـتُ أن هـذا التوقيـت أبعـد مـن أن يكـون مناسـبًا للـزواج. لكننـي وجـدت نفـسي تميـل، وقلبـي يتهفهـف وتتسـارع دقاتـه كلـما فكـرتُ في الأمـر. فالمـرء أحيانًـا لا يشـعر بالجـوع، إلا إذا رأى المائـدة أمامـه، أو إذا قـدم لـه أحدهـم الطعـام.

مـرت طقـوس الخطبـة سريعًـا، شروق، ابنـة العمـدة السـابق الـذي كان صديقًـا لوالـدي، رغـم الفـارق الاجتماعـي بينهـما. الحقيقـة أن سـيرة والـداي الطيبـة جعلتهـما مقربـين مـن معظـم الأسر في البلـدة. تسـاهل معـي الرجـل احترامًـا لأبي وأمـي، ولم يطلـب كثـيرًا مـما يجـب عـلى العريـس تجـاه عروسـه، حتـى الشـقة الملائمة التـي وعدتـه أن أؤجرهـا لابنتـه، لتعيـش معـي في القاهـرة، لم يضـع لهـا شروطًـا لا في المـكان ولا المسـاحة ولا أي شيء. وكانـت هـذه بدايـة جديـدة للخـلاف مـع إسـماعيل.

بـدا مذهـولًا حـين قلـتُ لـه، إننـي عـثرتُ عـلى شـقة مناسـبة في أحـد الأحيـاء القريبـة مـن الڤيـلا، بيـد أن راتبـي بالـكاد يتسـع لإيجارهـا. جحظـت عينـاه وتـرك الملعقـة مـن يـده، ونظـر إلى سـميرة التـي تجلـس إلى السـفرة دائمًـا إلى يمينـه، ومحجـوب الـذي يليهـا، فلـم يُعلِّقـا بحـرف.

- إنـت مـش هتجيـب مَرَتـك تعيـش هنـا في الڤيـلا؟ أنـا قلـت لمحجـوب يشـوف نقَّـاش يدهنلكـم أوضـة مـن الأوض الفاضيـة دهـان عرايـس، وهننـزل نجيبلـك أوضـة نـوم، وخـلاص كـده نفضهـا سـيرة. وكـمان تدريـب فوزيـة هتعملـه إمتـى يـا بيـه

t.me/qurssan

لما تسكن بـرَّه؟ التدريـب لسـه مخلصـش وفوزيـة لازم تفضل قدامـي طـول الوقـت.

- طب وأهل العروسة هييجوا يزوروها هنا ازاي حضرتك؟

- أهلهـا؟ هـو احنـا عندنـا حـد ليـه أهـل؟ مـا هـي ناديـا أهيـه متجـوزة ولا ليهـا أهـل بياجـوا ولا بيروحـوا. هـي تقطـع مـع أهلهـا بالراحـة كـده، بـلا دوشـة وزيـارات وقـرف. إنتـو تعيشـوا معانـا هنـا وأهـي تعـرف حياتنـا واحـدة واحـدة وتبقـى فـرد مننـا.

تركتُ الملعقة من يدي، ووقفتُ مُمهدًا لأن أنصرف:

- أنـا آسـف حضرتـك مـش هينفـع. هـي بـت وحيـدة وسـط 4 صبيـان وعمرهـا مـا خرجـت بـره البلـد. أهلهـا مـش هيفوتـوا أسـبوع مـن غـير مـا يبعتـوا حـد مـن اخواتهـا يطمـن عليهـا، عـلى الأقـل في الأول. وكـمان أنـا مسـتعد أعـرض نفـسي للخطـر لكـن مـراتي لأ. ومـش عايزهـا تبقـى واحـدة مـن المجموعـة.

- إنـت ماتسـتاهلش الـلي بعملـه عشـانك يـا فوزيـة. محـدش فيكـو يسـتاهل خـوفي وحرقـة أعصـابي عشـانكو، قـبر يلمكـم كلكـم، إنتـو زبالـة الزبالـة ومفيكمـش راجـل. كلكـو أقـل مـن المكانـة الـلي حطيتكـو فيهـا واخترتكـو عشـانها. غـور اعمـل الـلي تعملـه يـا واطـي. قـال مراتـك قـال يـا شريـف يـا أبـو شرف، دي تلاقيهـا مشـيت مـع رجالـة بلدكـو كلهـم، وكل راجـل كَلْ منهـا حتـة، وفي الآخـر هيلبسـوهالك يـا شرابـة الخُـرج. غـور مـن وشي جاتـك القـرف.

كانـت فرائـصي ترتعـد، وأنـا أجلـس في غرفتـي التـي أقتسـمُها مـع عـلي. أصبـح لا يكـف عـن التفكـير في حبيبة. حاسـتي السادسـة تحدثنـي بذلـك. أنـا أيضًـا أفكـرُ بهـا وأحمـل همَّهـا، سـتأخذ وقتهـا في التدليـل، ثـم سـتجد نفسـها تكنـس وتمسـح، وربمـا تنـام جائعـة عـلى أرضيـة المطبـخ في بعـض الأحيـان، كـما تقتـضي الأوامـر. وحـين يثقـل الأمـر عليهـا لـن تسـتطيع الفـكاك، رغـم كل مـا سـينالها مـن أذى. هـل سـتكونين أنـتِ الشـجاعة التـي لا يخيفهـا أن لهـا ملفًّـا في أمـن الدولـة، يحمـل اسـمها كامـلًا وتفاصيـل حياتهـا!؟ أم سـتكونين أنـتِ الغنيـة التـي تتنـازل عـما يعدنـا بـه إسـماعيل مـن أمـوال قادمـة، وشرف ومجـد وشـهرة وسُـلطة وعلاقـات واسـعة المـدى!؟ لـن تكونـين هـذا ولا ذلـك يـا حبيبـة. ليـس في هـذه الڤيـلا مـن هـو شـجاع ولا غنـيّ. الـكل هنـا يتسـمون بصفـة واحـدة فقـط، مسـحت مـا عداهـا مـن صفـات قديمـة، نحـن أفـراد المجموعـة أ، نتسـمُ بـأي صفـة تجلعنـا نحافـظ عـلى هـذه المكانـة: مكانـة الانتـماء إلى المجموعـة أ.

لم يتحـدث إليَّ إسـماعيل منـذ ثلاثـة أسـابيع. أرتـب وحـدي إجـراءات الفـرح البسـيط الـذي سـأقيمه في البلـد، حتـى أدخـل بعـروسي وسـط عائلتهـا "ليتشرفـوا بابنتهـم" كـما قالـت حـماتي. وحـين اكتشـفتُ أن مـا معـي مـن أمـوال لـن يسـعفني لإتمـام التفاصيـل الكثـيرة، طلبـتُ مـن سـميرة أن تتوسـط بيننـا، كي أطلـبُ مـن إسـماعيل سُـلفة، قـرض. كنـتُ أظـن أن لي دلالًا عليـه بمـا دفعتُـه مـن راتبـي في الفـترة الماضيـة، لكنـه رفـض! أو بالأحـرى تملَّـص، لأن المجموعـة لا تمتلـك سـيولة الآن. هـل محجـوب بالأفـلام

t.me/qurssan

التي يصورها ليلًا ونهارًا لا يمتلك سيولة؟ وعلي وحبيبة؟ ناهيك من سميرة!

الوحيدة التي لم أفهم موقفها من زواجي، سميرة، ما إن تحدد موعد زفافي وأخبرتُ به أفراد المجموعة، حتى انتابتها حالة بكاء وصراخ لم يفهمها أحد:

"بقى أنا أعلِّم وأنضَّف وأشيل الجلخ وييجوا الستات ياخدوكوا على الجااااهز. أنا مش موافقة على الجوازة دي أبدًا. باسم ده بتاعي، أنا اللي علِّمته كل حاجة بتتعمل إزاي، أنا اللي وقفت جنبه من ساعة ما دخل المجموعة، أنا مصدَّقة إنه فعلًا ابني، حتى لما بدأ تدريب فوزية اعتبرته بنتي. أنا مش هسيبها تاخده على الجاهز كده، فاهمين كلكو ولا لأ. ليه كل حاجة بتاعتي تتاخد مني بسهولة كده؟ ده حرام حراااااام".

كانت تصرخ وتقطع الصالة ذهابًا وإيابًا، و"تهلفط" بهذا الكلام الغريب، لم تخشَ أن يسمعها إسماعيل أو محجوب. ورغم إعلانها أنها ستقف دون إتمام الزواج، إلا إنني أشفقتُ عليها وصدَّقتُ دموعها، بل بكيتُ في حضنها محاولًا أن أهدئ روعها، وأعدُها بأنني لن أتركها أو أبتعد عنها بعد الزواج. ولكن ما كان يشغل عقلي حقًّا، كان كيفية الحصول على الأموال التي تنقصني لتدبير شئوني.

لم أجد بُدًّا من تحسين دخلي، إلا بترك شركة الأدوية والبحث عن عمل آخر، يكون أكثر ربحًا، دون أن يعلم إسماعيل عن ذلك شيئًا، كي لا يسطو على هذا "الأكثر" لصالح المجموعة. واحدٌ فقط هو من يستطيع مساعدتي وإلحاقي بأي مكان، محجوب.

t.me/qurssan

سميرة (2 إبريل)

لم يعـد التنظيـف يُجـدي مـع هـؤلاء الأوسـاخ. أشـم روائـح عَرَقهـم طـوال الوقـت، حتـى إذا جلسـتُ في الفيـلا وحـدي ليـس معـي إلا إسـماعيل. لا أسـتطيع الحيـاة في هـذا المـكان الوَسِـخ، لا أسـتطيع التنفـس.

يتحاشـونني كلهـم حتـى إسـماعيل، خاصـة بعـد أن أخـذ أمـوال القـرض. بعدمـا بـدأتُ تأسـيس الشركـة احتـاج إسـماعيل أن يُرسـل القـرض إلى البلـد، كي ينجـز بـه مهمـة مؤجلـة، ولم أرَ أمـوالي بعـد ذلـك، وأظننـي لـن أراهـا ثانيـة. ولكنـه ليـس ميراثًـا أو راتبًـا شـهريًّا كسـابقيه، هـذا قـرض، ديـون، مواعيد، سـداد، حجز، سـجن! سـجن؟ بالطبـع لا. إسـماعيل لـن يتركنـي أصـل إلى تلـك النقطـة البعيـدة، أنا لم أثـق بشـخص في حيـاتي كـما أثـق بـه، ولم أتفـانَ لأجـل شـخص كما تفانيـتُ في خدمـة مجموعتـه هـذه، هـؤلاء الصغـار المتكبريـن بـلا

داعٍ. أنا لن أبرح هذه الڤيلا ولا هؤلاء الأوساخ، قبل أن أسترد أموالي يا إسماعيل.

كانت أمي تقول "العين متكرهش إلا الأحسن منها"، ألهذا لا تطيقني حبيبة وناديا وعلي أيضًا؟ ألهذا تتسلل كلٌّ من الفتاتين وتختليان ببعضهما البعض، وتتبادلان الكتب والأفلام وتتناوبان على رعاية مريم؟ تعيشان معًا كعصفورتين في قفص، بينما تبتعدان عن البومة الكبيرة التي تراقب قفصهما الصغير. كنتُ أسمع تمثيلية البكاء التي تؤديها حبيبة في غرفتها كل ليلة، حين كنتُ أعبر عامدة من أمام الباب أو أجلسُ في الحديقة تحت شباكها. أعرف أنها كانت تعلو بصوت البكاء كي تستميل الجميع؛ علي وناديا وباسم ومحجوب أيضًا، محجوب الذي يسميها علنًا جميلة جميلات الڤيلا. لا أعرف أين هذا الجمال فيها!

أفهم نوايا هذا النوع من النساء الحَرَابي، تتلون لما يتجه له مؤشر الجو. إذا كان إسماعيل غاضبًا عليها، تبكي دائمًا وتولول حتى تكسب تعاطف الجميع، وإذا كان راضيًا عنها متوددًا إليها، برزت أنيابها وتعجرفت. لكنه الآن أوقفها عند حدِّها بعد العقاب الأخير، أصبحت تسير في الڤيلا مطأطئة كسيرة وذليلة، عكس ما كانت عليه حين بلانا بها علي، تسير على الأرض كأن قدميها تنغرس في السحاب.

هذه الفتاة الرخيصة، ألا يكفيها أن عينيها تكاد تتكلم بحبها لعلي، بينما هو بالكاد ينظرُ في وجهها؟! ومعه كل الحق في ذلك. هي ليست جميلة على الإطلاق، ولقد حاولتُ مرارًا

t.me/qurssan

أن ألفتها إلى ضرورة الاهتمام بمظهرها. شعرها على طوله هذا، سيئ الرائحة دائمًا، وجلدها خَشِن وأظافرها طويلة. أنا لا أعيب فيها خلقة الله، فلقد خلق بيديه كل شيء كاملًا ومثاليًا، ونحن الذين إما ننتقص من هذا الكمال، وإما نحافظ عليه ونزيده.

أعرفُ أن إسماعيل يريد أن يزوِّجها علي، كي يضمن ولاءها الدائم له، لكنها غير مناسبة له على الإطلاق، وإلا فلماذا يجلس معي أنا ويقول لي عن تطوراته في التدريبات، ولا أكاد ألمحه يطيق الجلوس إليها؟ هذه الفتاة اللعوب لن تترك الفتى إلا إذا أوقعته في حبال الزواج، وبالطبع سيرحب إسماعيل، لكن إذا حدث ذلك، فلن تتسع هذه الڤيلا لقيادة أنثيين. إما أنا وإما هي، وبالطبع لن تكون هي!

أنا لن أنسحب من كل معارك حياتي بهذه السهولة. كنتُ أتقهقر أمام جبروت أمي وتدخلاتها اللعينة في حياتي، أتقهقر أمام بكاء أختي الصغيرة، التي كانت تحلو لها ألعابي وأشيائي لتسرقها مني، ورغم ذلك كانت السمراء الجميلة أم غمازتين ودم خفيف وضحكة عالية، يرجو الجميع أن يلاعبوها ويتوددوا إليها، بينما أنا العاقلة الراسية التي يجب أن تتنازل عن أي شيء وكل شيء، أمام دموع التمساحة الصغيرة.

حتى معركتي أمام سيد، انسحبتُ منها بكل خزي وضعف. لماذا لم أقف أمامه وأمام الناس أقول لهم "أيوة أنا كنت مصاحبة واحد تاني وأنا متجوزاك"؟ لماذا لم أواجهه بكل هذا الانبطاح والانكسار في شخصيته؟ لماذا لم أقل له إن رائحة أنفاسه أثناء النوم توقظني، وأنه بالتأكيد لا يغسل أسنانه؟

لماذا لا أقول له إن ملمس جلده يجعلني أقشعر من شكله وملمسه؟ حتى دموعه أمامي حين رجاني ألا ننفصل كي نحافظ على "نور"، كانت دموعًا كسيرة هزيلة لا يمكن أن تكون لرجل؟ ورغم ذلك لم يكررها ذلك الحيوان مرة أخرى كما لو كان "ما صدَّق" أن تمسَّكتُ بالانفصال، وقال لنفسه "أهي جت منها". كيف كنتُ آمن أن أستكمل حياتي مع هذا الخائن المُتخَلِّي!؟

t.me/qurssan

باسم (6 إبريل)

أسـدى لي محجـوب هـذا الجميـل، جعلنـي مسـاعدًا لـه في مواقـع التصويـر. أحمـل المعـدات والكامـيرات وأحمـل حقيبتـه الشـخصية. بالطبـع لم يعلـم إسـماعيل شـيئًا عـن ذلـك، وإلا طالبنـي براتبـي كلـه، بينـما أنـا كنـتُ أدفـع راتـب شركـة الأدويـة، وأحتفـظ بالفـرق لنفـسي. لم يهتـم إسـماعيل أن يـترك لي مـا أشـتري بـه أثـاث الزوجيـة, أو حتـى ملابـسي الشـخصية، وكأنـه "مـا صـدق" أن والـد خطيبتـي سـيتكفل بـكل شيء.

سـعادتي في يـوم الفـرح لم تكـن لتوصـف. "شروق" بسـيطة الطلّـة، لكنهـا تخطـف القلـب، حتـى وإن لم تخطـف العـين بجـمال لافـت. أمـي تحتفـي بي بطريقتهـا، وبشـكل يعوّضهـا عـن حرمانهـا منـي في السـنوات السـابقة، أخـواتي يزغـردن ويرقصـن بقلوبهـن

قبـل أجسـادهن، العـالم كان طـوع بنـاني ذلـك اليـوم. لا إسـماعيل ولا غـيره اسـتطاع أن يـؤرق الفرحـة.

قضينـا ليلـة زواجنـا الأولى في بيـت أمـي، التي أحاطتنـي بنظرات أفهمهـا جيـدًا، قبـل أن تخـرج مـن الغرفـة وتغلـق البـاب خلفهـا. كنـتُ أعلـم أنهـا وأخـواتي وأم "شروق" تترقـبن خـبرًا هامًّـا في الصباح. ربمـا هـذا مـا جعلنـي غـير مؤهَّل لهـذا الفعـل، وأنـا مُراقَـب ومُحاط بـكل تلـك العقـول التـي تحـاصرني طـوال الليـل، وتنتظـر مـا أفعلـه. بالطبـع أنـا لم أخفـق، فأنـا لم أحـاول مـن الأسـاس لأتبـيَّن نجاحًـا مـن فشـل، لكننـي أكـره المراقبـة، وقـررتُ ألا يحـدث ذلـك إلا في مـصر، في شـقتنا الصغـيرة التـي لا تخترقهـا تلـك العيـون.

مـا إن علـم إسـماعيل بعـودتي مـن البلـد، حتـى اتصـل بي مهنئًـا ومُخترقًـا حيـاتي بذلـك السـؤال المبـاشر الفـج:

- عملت إيه مع مَرَتك؟ خلَّصتْ؟

- نعم؟

- خلاااااص ولا لسه؟

- لا حضرتك... لسه... أصل...

- طـب بـس بـس مـش عايـز أعـرف في التليفـون، لمـا تاجـي نتكلـم، يمكـن محتـاج مسـاعدة ولا حاجـة.

لمـاذا جاوبتُـه بهـذه السـهولة؟ لمـاذا لم أخـفِ عنـه الأمـر؟ هـل كان سـيذهب يومًـا إلى زوجتـي ليسـألها؟ لمـاذا أرتجفـتُ أمـام صوتـه ونبراتـه بهـذا الشـكل!؟ كنـتُ مهتمًّا لأن أنفـي تلـك الصـورة

t.me/qurssan

غير الصحيحة التي أخذها عني، فذهبتُ إلى الڤيلا مساء نفس يوم المكالمة. فتحت لي سميرة الباب وفي عينيها نظرات متفحِّصة، وشبح الابتسامة الميتة يظلل شفتيها كالعادة، غير أن جسدها اختلف جدًّا خلال الأسابيع الماضية، وزنها يبدو أقل مما تركتها عليه بكثير، وظلال عيونها زرقاء تميل إلى السواد. دخلت سميرة أمامي إلى غرفة إسماعيل، وتبعتُها أنا. نهضت إليَّ ناديا واحتضنتني وقبَّلت وجنتيَّ، كأنها هي العروسة، وإسماعيل ينظر إلينا بسخرية:

- تعالي تعالي. مانا قلتلكو اللي فيها، بتباركيله على إيه!؟ قال بعد الغيبة راجع بالخيبة. ده عايزله زفة بحالها مش مباركة كده على الماشي.

ارتبكت ناديا وربَّتت على كتفي بهدوء: معلش كل ده بيحصل في الأول عادي جدًّا. مبروك يا عريس ولا يهمك.

بينما أمسكت سميرة كُم القميص الذي أرتديه، لتتفحصه وقرَّبت أنفها من ذراعي تتشمم رائحتي كالكلب، ثم أبدت اشمئزازًا لا يخلو من شماتة:

"يعني كل الفلوس اللي اتصرفت عليك دي عشان تعمل حاجة سهلة وببلاش كده، وكل الرجالة بتعملها، وفي الآخر تبقى خيبتك السبت والحد والخميس كمان؟ تطلع أخت العروسة؟ على فكرة المدام مبتهتمش بنضافتك زي مانا كنت بعمل، مقالتلكش تاخد دش قبل ما تنزل؟".

كيـف جـرؤ عـلى أن يحـكي لهـن أسراري الشـخصية!؟ كيـف جـرؤ عـلى الحديـث عـن علاقتـي بزوجتـي مـع... مـع مَـن يـا تـرى؟ هـل حـكى لسـميرة وناديـا فقـط أم للجميـع؟ انسـحبتُ مـن الغرفـة فـورًا تـاركًا ناديـا ورائي تناديـنـي وتجـري خلفـي لتلحـق بي، بينـما لم يتحـرك هـو مـن مكانـه.

عــدتُ إلى البيــت وكأن كلبًــا أســود يجــري في دمــي، ويلهــث بلســاني وينفجــر غيظًــا بقلبــي، أطفــأت ذلــك الغضــب في جســد شروق، وبينــما هــي تتــألم وتــصرخ، كنــتُ أرى انتصــاري عــلى إســماعيل أمــام عينــي.

t.me/qurssan

سامية (25 إبريل)

أصبح محجوب شبه دائم الإقامة معنا في البيت. في البداية كان "يتلكك" برؤية الأولاد، ثم بأنه مريض ويحتاج إلى أن يطمئن على نفسه بجوارهم، وحينما لم أصدق كل هذه الحِجج والمبررات، وطالبته بالانصراف بهدوء، جلس أمامي على ركبتيه يبكي كالأطفال، ويطلبُ حمايتي. يطلبُ أن يظل بيننا، حتى يجد لنفسه مخرجًا من الكارثة التي أوقع نفسه فيها.

لا أثقُ عادة في روايات محجوب وزاوية رؤيته للأمور، عيناه وعقله ليسا بدقة الكاميرات التي يستخدمها في التصوير، وتفكيره أصبح خاضعًا طوال الوقت لأساليب الخِدع والمؤثرات، ومؤخرًا نظرية المؤامرة. زجاجات الخمر لا تفارقه، وهو ما كنا نتعارك بسببه قبل الطلاق، لا أعرف كيف يحتمل رؤية نظرات الريبة والخوف في عيني أولاده، وهو على هذه الحال. أحاديثه الأخيرة

غير المتناسقة عن إسماعيل، جعلتني أفكر في ذلك الرجل منذ معرفتنا به قبل سنوات.

رجلٌ يحب أن يحاط بإعجاب الآخرين. يكره أن يبدو جاهلًا في أي مجالٍ أيًّا كان هذا المجال، حتى إن كان بعيدًا عن محيطه. كان يقرأ في السينما كي يتفلسف بقراءاته على محجوب، كان يقرأ في الصحافة والإعلام ما يناقش به علي، ويصحح له آراءه بل و"يفتي" فيما لا يعلم، ويدافع عن أنصاف النظريات التي يكوِّنها بشراسة وضراوة. وبالطبع لا تجرؤ ناديا على التحدث عن الأدب في حضوره. حتى في الطب، كان يترجم أبحاثًا منشورة على الإنترنت بلغات مختلفة، حتى يبدو مثقفًا أمام باسم في مجاله، ويتعمد أن يستعرض تلك الآراء التي عليها خلاف بين الأطباء، حتى يبدو مُلمًّا بما قد يغفله باسم.

أحاول أن أعصر ذاكرتي، كي أسترجع أي دليل مادي على كونه ضابطًا في أمن الدولة. هل رأينا له أي أمارة من هذا الجهاز!؟ هل رأينا له أي "كارنيه" حديث أو ما شابه!؟ أنا لا أدافع عنه بالطبع، لكنني أحاول أن أجد لمحجوب مخرجًا من الاتهام بالغباء والخداع، الذي يتهم به نفسه الآن. أكاد أراه بعينيه الآن. أعرف أنه لن يتحمل هذه الحقيقة الهزلية، حقيقة أنه خسر كل شيء لأجل اللاشيء. خسر بيته وأولاده، تزوج امرأة لا يشعر معها بسعادة، خسر حريته وأصبح يعيش فردًا، في رقعة شطرنج يملكها مجنون، ويحرك جنودها كيفما شاء. والأدهى من ذلك أنه قَتَلَ، حتى وإن لم يكن بإيعاز من إسماعيل، لكنه عاش في كنف رجل متجبرٍ، فلِمَ لا يتجبر هو الآخر؟

t.me/qurssan

لا أعـرف هـل أفكـر معـه في الخـروج مـن كنـف هـذا الرجـل، أم أتركـه يتحمـل مسـئولية مـا أوقـع نفسـه بـه، ولـو لمـرة واحـدة في حياتـه؟ هـل أخـدع نفـسي بـأن أتحـدى ذكاء إسـماعيل، فأقـع أنـا أيضًـا في الفـخ؟ أم أننـي أكـثر قـدرة عـلى رؤيـة الأمـور مـن الزاويـة البعيـدة، الزاويـة الأوضـح؟ ليـس الأمـر بهـذه السـهولة يـا محجوب. أولادي فقـدوا أبيهـم ويعيشـون الآن عـلى ذكـرى أب، فهـل أدعهـم يفقـدون أمهـم أيضًـا في رحلـة إنقـاذ مزعومـة لـلأب!؟

t.me/qurssan

ناديا (27 مايو)

ربما تكون هذه هي الصفحة الأخيرة في مذكراتي. فما حدث اليوم لا ينبئ بأنني سأستمر على قيد الحياة كثيراً في هذا البيت. مريم مريضة منذ أسبوع، ولا تنام طوال الليل من البكاء والصراخ، بالطبع أسهر أنا وحدي معها، والسيد أبوها يغط في النوم في غرفته. لا تنزل حرارتها المرتفعة قبل الثامنة صباحًا، بعد أن تكون قد استنفدت طاقتي كاملة خلال الليل. أنام معها في الثامنة، وأستيقظ بالكاد حوالي الثالثة عصرًا. أسبوعٌ مرَّ وأنا على هذه الحال، حتى أرسل إسماعيل سميرة لتوقظني اليوم، وتخبرني أنه بانتظاري في مكتبه لأمرٍ هام.

- كل ده نوم يا هانم وسايبة البيت يضرب يقلب؟
- مانا كنت هقوم أنضف بس مقدرتش والله تعبانة من السهر و...

- وعلى كده بقى أكلتي آخر مرة إمتى يا هانم يالي بترضعي؟
- الساعة 3 الفجر تقريبًا أكلت سندويتشين كده.
- إنتي أم مهملة وغبية ومتستحقيش نعمة البنت اللي ربنا إداهالك. إنتي وسخة بنت أوساخ، ومحدش في أهلك محترم علِّمك معنى المسئولية.

لكمني بقبضته الكبيرة في كتفي، حتى اصطدمتُ بالحائط، ثم جذبني من شعري وطرحني أرضًا، ركلني طويلًا، حتى جاءت سميرة تجري على صوت صراخي، وجذبتني من تحت قدميه. استندتُ إلى يديها ووقفت، فجذبني من يدي إلى ناحيته: "روحي هاتي البت يا سميرة ولمِّي للهانم هدومها وارميها بره، مش هتشوف بنتها تاني لحد ما تتعلم تشيل المسئولية".

جذبتُ ذراعي من يده بقوة وجريت إلى غرفتي، أخذت ابنتي في حضني وجريت ناحية باب الغرفة، قابلتُ سميرة أمام الباب، فدرتُ إلى الخلف وجلست في ركن الغرفة، أضم مريم إلى حضني وصرختُ في سميرة: "إللي هيقرب من بنتي هقتله. أقسم بالله هقتله. ابعدوا عن بنتي يا كلاب محدش هياخدها من حضني"!

كانت تحاول الاقتراب مني لتضع يدها على كتفي، وكلما اقتربت، صرخت فيها وهممت بعضِّ أصابعها، حتى خرجت وأغلقت الباب خلفها.

t.me/qurssan

سـمعتُه يعـوي وينعـق أمـام الغرفـة ويهـدد ويتوعـد. أمـر سـميرة أن تفعـل معـي مـا فعلـت مـع باسـم، وقـت أن عوقـب بـأكل الجـبن عنـوة. أمرهـا أن تـأتي إلى غرفتـي كل سـاعة، تحمـل لي صينيـة طعـام، وأن تطعمنـي إيـاه بالقـوة إن لم آكل باللـين، وإلا جـاءني هـو بنفسـه وأنـا أعـرف البقيـة! وأمـر أفـراد المجموعـة ألا يأتـون لمواسـاتي أو لزيـارتي في غرفتـي أبـدًا، حتـى أتعلـم الأدب وتحمـل المسـئوليات التـي تُلقـى عـلي.

مـرَّ اليـوم كأصعـب مـا يكـون، كنـتُ أتجـرع الطعـام كل سـاعة بالضبـط، تمتلـئ معـدتي عـن آخرهـا، وتظـل سـميرة "تزغطنـي كدكـر البـط" حتـى أتقيـأ مـا أكلـتُ وأفـرغُ مـا في بطنـي تمامًـا، ثـم ألتهـم الجديـد. سـمعتُها تخـرج إليـه وترجـوه بصـدق، ليرفـع عنـي العقـاب، فكـثرة الأكل والتقيـؤ سـتقتلني، وكان يقـول: "محـدش بيمـوت مـن كـتر الأكل. خـلي بطنهـا النونـو توسـع وتشـيل".

وحـين جـاء عـلي مـن عملـه، وعلـم بمـا حـدث، انتظـر حتـى نـام الجميـع، وتسـلل إلى غرفتـي يواسـيني. ولكـن يبـدو أنـه لم يتأكـد مـن نـوم إسـماعيل. فتـح الغـول غرفتـي فجـأة، ورآني أحـكي لعـلي مـا حـدث وأبـكي بحرقـة. انقـضَّ عـلى عـلي وسـحبه مـن قفـاه إلى غرفتـه، وظـل يوبخـه حتـى أيقـظ الجميـع. لم أسـتطع أن أمنـع نفـسي مـن الذهـاب خلفهـما، ومراقبـة مـا يحـدث مـن بعيـد.

رفـع إسـماعيل عـلي مـن فـوق الأرض، وألقـاه عـلى السريـر كأنـه يحمـل طفـلًا خفيـف الـوزن، ثـم انهـال عليـه بنعلـه أمـام الجميـع وسـبَّه بأمـه. لا أعـرف لمـاذا نقـف جميعًـا في مثـل هـذه المواقـف مكتـوفي الأيـدي؟! لمـاذا لا نعترضـه ونوقـف هـذه الإهانـات؟ بعد أن

انتهى من "وصلة" الضرب، أمسك الوسادة التي فوق السرير، وألقاها أرضًا، ثم رأى تحتها "أچندة" سوداء وقلم. لن يمكنني أن.أنسى نظرة إسماعيل، عندما نقَّل عينيه بين علي والأچندة، بينما يده تقلب الصفحات: "إنت بتكتب مذكرات يا حيوان؟".

t.me/qurssan

سيد يوسف (27 مايو)

أحيانًا يبدو الواقع أغرب وأكثر ألمًا من الخيال، وحينها لا تتسع عقولنا لمحاولات التنبؤ والتوقع. صدفة غريبة جمعتني بمحجوب زوج سميرة، في هذا اليوم تحديدًا، وكأنه كان على موعد معي، ولكن قطاره تعطَّل فأتى متأخرًا بضع ساعات. كان على موعد، لأنه كان يسأل عن والدة سميرة في هذا اليوم خاصة، وتأخر قطاره لأن أمها ماتت قبل مجيئه بساعات.

لم أكن قد نفضت ملابسي من غبار الدفن، حين رن جرس الباب ووجدته أمامي. كنتُ على وشك أن أنتقم منه، لكل ما حدث لي حتى اللحظة، ولكنه اقتحم المدخل، ووجدته داخل الشقة يقف مثني الظهر منبت الذقن غير مهذب الشعر.

- أنـا عـارف إني مـش مـن أفضـل 500 شـخص تحـب تشـوفهم حتـى صدفـة، بـس أنـا محتـاج مسـاعدتك. سـميرة نفسـها محتاجـة مسـاعدتك.

- مساعدتي مش معروضة للبيع. اتفضل بره.

- أرجـوك. فيـه نـاس هتضيـع، مـش ضيـاع فلـوس ولا أهـل. نـاس هتمـوت لـو مسـمعتنيش، ودي في الأول وفي الآخـر أم بنتـك، والبنـت محتاجالهـا.

- واللـه؟ هـو حضرتـك عـارف إن سـميرة لهـا بنـت كانـت محتاجالهـا في وقـت مـن الأوقـات.

- إسماعيل مجنون يا أستاذ.

- هاهاهاهاها، أستاذ!

- يـا فنـدم أنـا مـش بهـزر ولا بسـخر مـن حضرتـك. إحنـا في مصيبـة، كلنـا في مصيبـة ومحتاجـين كل واحـد حوالينـا.

- آه قول كده بقى، إنت في مصيبة وبتتحامى في سميرة.

- إنـت هتفصـص في الـكلام وتـلاوع ولا هتسـمعني وتنقـذ أم بنتـك؟

- انت كمان هتترفز؟ ده انا حقي أجيبلك البوليس.

- حقـك عليـا. أنـا آسـف. إحنـا محتاجـين مسـاعدة، محتاجـين كل حـد وأي حـد قريـب مننـا أو بعيـد. أرجـوك اسـمعني.

- ولو معجبنيش الكلام؟

t.me/qurssan

- مش هاخد منك حقه. وأنا ماشي، ابقى ارميه في البحر.

أشرتُ إليه بالجلوس، لا بدافع الاهتمام بما سيقول، إنما هو الفضول والرغبة في التشفي في سميرة، ومعرفة ما وصل إليه حالها المزري، مقارنة بحالي وحال نور والمرحومة أمها. أريد أن أسمع الكوارث التي أوقعت نفسها بها، وأتخيل دموعها تنهال على وجنتيها. عساي أروي بتلك الدموع ظمأ آلامي وسهري وحبي الذبيح.

عندما كنتُ صغيرًا، كنت أحب مشاهدة أفلام السهرة في حضن أمي، وكنتُ أسألها دائمًا: "ماما هو الراجل ده طيب ولا شرير؟".

كان الناس في نظري إما طيبون وإما أشرار. ولكنهم في الحقيقة ليسوا كذلك. هم في الحقيقة خليطٌ بين هذا وذاك، خليط يضعنا في حيرة حقيقية، حين نحكم عليهم أو حين نكوِّن ردود أفعال تجاههم. يكون الأمر في أسوأ حالاته، عندما تنتقم من أحدهم -من وجهه الشرير- فيتصدَّر لك وجهه الطيب المنكسر. وحينئذ إمَّا تتراجع وإما تعيش بتأنيب الضمير، رغم أنك تأخذ حقًّا مسلوبًا، ولم تتجنَّ من البداية. ليس هناك قرار سيجعلني أندم، أكثر مما ندمت على زواجي من سميرة من الأساس. هل ستسوؤني الموافقة على مساعدتهما؟ هل سأندم على تفويت فرصة الانتقام منهما!؟ لا أعرف إلى أي قرارٍ سأصل يا محجوب. فلتقضِ الأيام بيننا.

t.me/qurssan

سميرة (28 مايو)

إسـماعيل كالثـور الهائـج، يفتـش كل ثقـب في البيـت، بعدمـا علـم أن عـلي يكتـب مذكراتـه. أخـذ الأچنـدة وجلـس في غرفتـه حتـى الصبـاح، ثـم خـرج يثـور ويهيـج. جلـس فـوق عـلي وأوسـعه ضربًـا:

"إنـت فاكـر نفسـك مـين عشـان تسـجل كل التفاصيـل دي يـا حيـوان؟ رأفـت الهجـان بيكتـب مذكراتـه يـاض ولا إيـه؟ ده إنـت حتـة موظـف لا روحـت ولا جيـت، ولا ليـك أهـل يسـألوا عنـك. كلكـو شـوية عيـال لميتهـم ونضفتهـم وعملـت منهـم بنـي آدمـين. شـوية مرتزقـة لا ليكـو أصـل ولا ليكـو بلـد ولا عيلـة. أنـا هربيكـم يـا كلاب، وهكتـب عنكـم تقاريـر زي وشـكو، وهنشـوف يـا "أ" أنـا ولا انتـو، وخليكـوا ماشـين بدماغكـو بقـى".

أمـرني أن أفتـش غـرف المنـزل كلهـا غرفـة غرفـة، وأن آتيـه بـكل الأوراق التـي أعـثر عليهـا، بعـد أن يخـرج أفـراد المجموعـة كلٌّ إلى عملـه. أصبحـتُ وحـدي معـه في الڤيـلا ومعنـا بربنـط الـذي لا "بيشـيل ولا بيحـط".

كلـما أنظـر إلى ذراعـي أو إلى كفـوف يـدي، أرى نقـاط العـرق تتراقـص عـلى جلـدي وعـلى خـدي وجبهتـي. أشـعر أنني بحاجـة إلى الاسـتحمام، لا أقـوى عـلى التركيـز والعـرق يتصبـب مني بهـذا الشـكل. الجـو ليـس حـارًا إلى هـذه الدرجـة، لكـن وجـودي داخـل غرفـة ناديـا يُشـعرني بالتوتـر والاشـمئزاز. لحسـن حظهـا أن والدهـا تـوفي في صبـاح هـذا اليـوم الغائـم العاصـف. اتصلـت بهـا والدتُهـا وهـي تـصرخ وتولـول. رأيتُهـا وأنـا أجلـس عـلى الأرض أمـام غرفـة إسـماعيل، أنتظـره أن يسـتيقظ لأطمـئن عليـه، فأنـا لم أسـمع لـه صوتًـا بعـد صدمتـه في عـلي في المسـاء. خَرَجَـتْ ناديـا مـن غرفتهـا تجـري نحـو غرفتـه، تضـع الموبايـل عـلى أذنهـا اليمنـى، وتخبـط البـاب بيدهـا اليـسرى بقـوة وتتابـع. خـرج إسـماعيل مـن الغرفـة يمسـك الأچنـدة في يـده، تطـل مـن عينيـه شرارة النـار، وترتسـم عـلى وجهـه ملائكـة العـذاب. بكـت ناديـا مـا إن رأتـه:

- أبويـا مـات يـا إسـماعيل، جتلـه جلطـة بالليـل ومـات دلوقتـي في المستشـفى. تعـالى ودينـي المستشـفى بسرعـة.

أشـار إليهـا بيـده غـير مهتـمٍ: "غـوري لوحـدك أنـا مـش فاضيلـك".

ثـم عـاد إلى الغرفـة وأغلـق البـاب في وجههـا. تسـمَّرت ناديـا لحظـات تُنقِّـل عينيهـا بينـي وبـين البـاب المغلـق. الخـذلان

t.me/qurssan

والإحبـاط يغلفانهـا مـن شـعرها الأحمـر الهائـج، حتـى قدميهـا البيضـاء الناعمـة ذات "المانيكـير النبيتـي". جـرَت إلى غرفتهـا، وارتـدت فسـتانًا أسـود في أقـل مـن دقيقـة، وحملـت مريـم النائمـة مـن سريرهـا، وجـرت إلى بـاب الڤيـلا، ومنـه إلى الشـارع. كيـف ستسـير المجنونـة بابنتهـا عـلى كتفهـا، في هـذا الوقـت الخـالي مـن المـارة إلا مـن قليـل؟

لم أكـن قـد بـدأتُ في تفتيـش الغـرف بعـدُ، فقـررتُ أن تكـون هـي الأولى. طالمـا ذكَّرتنـي غرفتهـا بكتـاب ألـف ليلة وليلـة؛ المفارش المزخرفـة المرصعـة باللآلـئ الفضيـة، مُعلَّقـة عـلى الحوائـط، المبخـرة الكهربائيـة لا تخلـو مـن الفحـم ورائحـة البخـور الهـادئ، المسـبحة مُعلَّقـة في الجانـب الأيمـن مـن خشـب السريـر، فـوق رأسـها تمامًـا عندمـا تنـام. "الأباچـورات" الصغـيرة عـلى شـكل مصبـاح عـلاء الديـن، وأشـكال القناديـل القديمـة مرصوصـة بعنايـة في أركان الغرفـة، وتتداخـل أنوارهـا الملونـة فتضيـف حالـة مـن السـحر. هـذه الفتـاة لا ريـب سـاحرة، وإلا لمـا سـيطرت عـلى إسـماعيل إلى هـذه الدرجـة حتـى "بلفتـه" وتزوجتـه!

دولاب ملابسـها غـير مُرتَّـب عـلى الإطـلاق، الفسـاتين الملوَّنـة المزركشـة عطنـة الرائحـة، ملقـاة هنـا وهنـاك. لا توجـد "فـردة" مـن أحذيتهـا تجـاور أختهـا، فـردة في أرضيـة الـدولاب وأخـرى في البلكونـة. زجاجـات عطورهـا تصطـف عـلى الـرف الأيمـن بالـدولاب، فتفـوح الرائحـة عـلى كل ملابسـها وملابـس ابنتهـا المسـخوطة. كل هـذا الـرف الكبـير وتشـتكي أن ابنتهـا ليـس لديهـا مـا يكفـي! مـاذا سـتحتاج رضيعـة بنـت سَـنَة واحـدة أكـثر مـن رفٍ واحـدٍ كهـذا!؟

وبالطبع لـن تحتـاج الرضيعـة إلى أن تخبـئ تحـت ملابسـها هـذه الأچنـدة البيضـاء الجميلـة يـا ناديـا. يبـدو أن إسـماعيل حصـل عـلى أول ضحيـة.

يعجبنـي ذكاء إسـماعيل وتنبؤاتـه، لكنـه بالفعـل لـن يسـتطيع ممارسـة هـذا الـذكاء فـوق ذكائي، لـن يجـد لأچنـدتي أثـرًا، لأننـي لا أخبئهـا في غرفتـي كالأغبيـاء الباقـين. أنـا أخبئهـا في غرفتـك أنـت يـا إسـماعيل. أسـجل هـذا الفصـل الآن مـن أوراقـي الخاصـة، لأنتـشي بكتابـة انتصـاري عليـك وعـلى الخرقاء التـي اخترتها زوجتـك لتنجب منهـا. أنتـصر عليهـا وأضعهـا أمامـك عاريـة باعترافاتهـا وكلماتهـا وخطهـا، وأنتـصر عليـك حـين أكتـب عنـك وعـن مجموعتـك مـا أريـد، وأضـع كلـماتي حولـك في الغرفـة لتطالـك طاقتهـا الخانقـة، وأنـت غـارقٌ في أحلامـك الإباحيـة.

t.me/qurssan

باسم (28 مايو)

من المفترض أن أطير فرحًا بحمل "شروق"، لكن ما قابلني به إسماعيل من سخرية سيخرسني إلى الأبد.

- أستاذ إسماعيل... باركلي، شروق حامل.
- حامل؟ من مين يا واد؟
- من مين يعني إيه؟ مني طبعًا.

الجدل والتشكيك في كل شيء هو سياسته المعهودة. لا أحد صادق ولا أحد أمين ولا أحد محترم. الكل خائن، الكل سارق، الكل كذَّاب.

بعد صمت طويل من جانبي وثرثرة كثيرة من جانبه، أمر سميرة أن تلملم متعلقات مريم بعد ولادتها، ملابسها القديمة التي أصبحت ملطخة ببقع الطعام المعروفة على ملابس

الأطفـال. حمّالـة الأطفـال والعربـة الصغـيرة، التـي كانـت ناديـا تضع مريـم فيهـا، و"الببرونـة" التـي كانـت تسـقيها فيهـا الأعشـاب واللـبن.

- لأ دي خليهـا حضرتـك، مينفعـش طفـل يـشرب مـكان طفـل تـاني.
- لأ خدهـا. مـش لازم تشـتري أي حاجـة جديـدة، هـي فلـوس عـلى الأرض وخـلاص. ولا انـت تقـرف تاخـد حاجـة بنتـي؟
- العفو سعادتك.

أمـرني إسـماعيل أن أبيـت الليلـة في الڤيـلا، كي يذهـب أفـراد المجموعـة كلهـم غـدًا، إلى أهـل ناديـا لحضـور العـزاء. أعـرفُ أنهـا مجـرد حجـة لإبعـادي عـن شروق، في اليـوم الـذي عرفـتُ فيـه أنهـا حامـل، في اليـوم الـذي يجـب أن نحتفـل فيـه ببـذرة إنسـان جديـد، يجمعنـي بهـا إلى الأبـد. لا أضمـن إن عصيـتُ لـه أمـرًا، أن أُحـرم منكـما إلى الأبـد يـا شروق. ربمـا أخـذني منـكِ الليلـة، لكنـه لـن يأخذ الأبـد يـا شروق، لـن يأخـذ الأبـد. لـن يأخـذ العمـر الـذي ينتظرنـا معًـا وبيننـا بذرتنـا، نرعاهـا ونرويهـا بعيـدًا عـن المهـمات والأجهـزة الأمنيـة. أعـرفُ أن بقـائي في هـذه المجموعـة، أصبـح أمـرًا مسـتحيلًا، وأنهـا شـهور وربمـا أيـام، تفصـل بينـي وبـين الحريـة، بينـي وبـين أمـي وأخـواتي المسئولات منـي، بينـي وبـين زوجتـي وابنـي. سـآخذ حريتـي منـك يـا إسـماعيل، ولـن تعـرف لي طريقًـا قـط.

t.me/qurssan

طالما نصحته ناديا أن يحسن معاملتي، خاصة في بداية زواجي، حينما كان يأمرني أن أجلس معه في الڤيلا طوال اليوم، وألا أعود إلى شروق إلا وقت النوم.

- حرام عليك يا إسماعيل، البت لسه عروسة ومن حقها تتمتع بجوزها ويتمتع بيها، هو لو مكنش العرسان يقضوا مع بعض طول الوقت، وهما لسه عرسان جُداد، أومال هيقعدوا مع بعض إمتى بس؟ سيبهم يلبوا احتياجاتهم الإنسانية.

- احتياجات إيه وإنسانية إيه يا هانم يا كاتبة؟ إنتي فاكرة إنه متجوز بني آدمة زيك ولا إيه؟ دي بهيمة ميهمهاش منه غير حاجتين: الأكل والنوم، وانتي طبعًا فاهمة قصدي. إنتي محتاجة واحد زيي يتكلم معاكي ويسايرِك، لكن هي عايزة واحد يحِشّلها ويحبِّلها زي الجاموسة. اسأليني أنا على الصنف ده، عارفهم كويس.

لم يسمع إلا صوته وأوامره، والآن ستعرف يا إسماعيل أنك ما سمعت غير الصدى.

t.me/qurssan

سامية (29 مايو)

يومها عاد محجوب ومعه سيد يوسف، زوج سميرة السابق. لقاءٌ غريب بين ثلاثة أشخاص لم يكونوا ليجتمعوا أبدًا. اختار محجوب هذا اليوم، ليضمن بقاء الأولاد خارج البيت لأطول وقت ممكن. أعاد محجوب كلامه كله عن إسماعيل، وكان ينظر إليَّ وإلى سيد بنفس المقدار، كأنه يحكي لكلينا التفاصيل لأول مرة. أثق أن محجوب يروي الأحداث، وهو ما زال فاقدًا للتركيز من أثر الصدمة، ولا يكاد يصدق ما يقول. هو في الأغلب نسي أنه حكى لي نفس تلك الأشياء، بنفس تلك اللهفة ورعشة الصوت وجحوظ العينين.

"إحنا محتاجين لكل بني آدم يعرف حدّ فينا، محتاجين أهل كل واحد مننا، صحابنا، قرايبنا. إحنا مش هنواجه إنسان عادي زيي وزيكم، إحنا هنواجه وحش. مينفعش واحد لوحده

يقولـه إنـه اكتشـف الحقيقـة، لازم نقولهـا لـه كلنـا مـع بعـض في نَفَـس واحـد. عشـان ميقـدرش ينكـر ولا يـراوغ".

لم أكـن لأوافـق عـلى الانتقـال إلى الڤيـلا، ولكـن وافـق سـيد يوسـف عـلى أن يعلـن رغبتـه في الانضـمام إلى المجموعـة. سـيترك ابنتـه لـدى عمَّتهـا، وسـيذهب إلى إسـماعيل بقدميـه. لمـن أتـرك أولادي أنـا يـا محجـوب!؟ لمـاذا لا تقـوى عـلى مواجهـة خصمـك بمفـردك رجـلًا لرجـل، فـردًا لفـرد، عقـلًا لعقـل، وذراعًـا لـذراع إذا اقتـضى الأمـر؟

ربمـا يمتلـك سـيد سـببًا وجيهًـا لأن يقـترب مـن العريـن، لينقذ أم ابنتـه. لكـن أنـا لِـمَ أغامـر بـأولادي وأبوهـم نفسـه لا يـترك أمامهـم زجاجـة الخمـر مـن يـده؟ هـو يسـتدرجني لمؤازرتـه لا لـشيء آخـر. آزرتُـك قبـل سـنوات يـا محجـوب، إلى متـى سـأظل أنـا أدفـع ثمـن أخطائـك وشـطحاتك ونزواتـك!؟ لكننـي مـع هـذا سـأذهب معـك. سـأذهب لأنتقـم مـن حيـوان كان ينهـش جسـدي بعينيـه، وحينـما حـاول بيديـه لم يجـد مـن يردعـه. سـأذهب لأرى سـميرة التـي أصبحـت كالغصـن الذابـل، عـلى شـجرة شـائخة تسـاقطت أوراقهـا منـذ زمـن.

سـأذهب معـك لأمتـع عينـي بالهـالات السـوداء تحـت عينيهـا، وسـأطرب أذني بصـوت بكائهـا المسـتمر، الـذي يظهـر في الليـل كعفريتـة قُتِلـت، ويسـمعها النـاس تسـتدرج كل ليلـة إنسـيًّا جديـدًا تقتلـه وتمتـص دمـاءه. سـأذهب لأرى في عينيهـا كرههـا لمحجـوب وكرهـه لهـا، أرى تهـدم قلعـة الرمـل التـي طعنـاني لأجلهـا. قلعـة

t.me/qurssan

الحب الموهومة التي فتنتها قطرات ماء وأعادتها إلى ذرات صغيرة، لا تُرى الواحدة منها بالعين، ولا تشعر بها لمسة الجلد.

سآتي لأجلك يا سميرة، لأقول لك إن التنازلات الرخيصة لا تتوقف، مهما توهم صاحبها أنه قادر على التوقف وقتما شاء. تنازلتِ عن زوجك ثم ابنتك، وتمسكتُ أنا. وها هي الدنيا تترامى أطرافها تحت كعب حذائي، حتى محجوب الذي ظننتِ أنه لك!

لا أعرف ما الذي قاله محجوب لإسماعيل ليقنعه بتجنيدنا -أنا وسيد- لكنني وجدتُ نفسي بكل سهولة أقبع في الڤيلا، لي غرفة سأنام فيها مع فتاة أبرز ما فيها لمعة عينيها، رغم الحزن القابع بهما، وطول شعرها. كانت تجلس فوق سريرٍ ذي ظهر ملوَّن كأَسِرَّة الأطفال، تسندُ ظهرها إلى الوسائد، وتضم رجليها إلى صدرها، تضع ذقنها على ركبتيها، وأخالني رأيت دموعًا على خديها. لم تهتم لدخولي، فقط رفعت عينيها تجاه الباب ونظرت إليَّ بهدوء، ثم هزَّت رأسها وتمددت على السرير ووضعت الوسادة فوق رأسها.

توقعتُ استقبالًا أكثر نارية من سميرة، لكنها على ما يبدو مشغولة بأمرٍ ما. حتى وإن بدأتني سميرة بالمشاكسة وحركات النسوان، فأنا لن أستطيع أن أبادلها، فالضرب كما يقولون في الميِّت حرام. من هذه العفريتة التي استقبلتني!؟ هل هذه سميرة التي كان يحلف بأناقتها الناس؟ متى تخشَّب وجهها واسودَّ جلدها إلى هذا الحد؟ هذه امرأة لا تكفُّ عن البكاء، فأنا طالما بكيتُ وأعرفُ ذلك جيدًا. هذه العيون الذابلة باكية

دائمًا. هل تمرين باكتئاب يا سميرة؟ هل تتعاطين شيئًا يجعلك تبدين بهذا الشكل المقزز؟

كنتُ أنوي أن ألقنك درسًا في الأنوثة لن تنسيه ما حييتِ، ولكن أيَّ درس ستستوعبين وأنتِ بهذا "التوهان"!؟ سأنتظرُ يا سميرة حتى تصبحي على قدر المنافسة والتحدي، وحتى حين... فلأترفق بخيال "المآتة" هذا الذي يحيا بداخلكِ.

t.me/qurssan

سيد يوسف (29 مايو 2017)

رأيتُ امرأة غير التي عرفتُها، وكانت تبات بين ذراعي. كأنها أصبحت تُفضِّل "مكياج" أفلام الرعب. هذا الجسد الجاف الذي يفتقد الدفء قبل الماء. كانت عيونها تزوغ مني، لكنها تتفحصني بغير انطباع، لا هي مهتمة ولا هي تعمدت التجاهل. أهذه حقًّا سميرة؟!

منزل كبير يبدو مهجورًا، حتى إسماعيل نفسه الذي وافق على أن ننتمي إلى المجموعة، لم نره منذ وصولنا. كلٌّ يجلس في غرفته، عدا سميرة التي تجلس في صالة كبيرة تشاهد التلفزيون، وتمسك بيمينها فنجان قهوة، ويهتز الفنجان بين أصابعها، كأنها ترتعش من "لطشة برد"، بينما تمتد يداها إلى طبق صغير على يسارها تأكل منه "لب" كأنها في سهرة لطيفة.

نظـرت إلي باسـتخفاف وصـوت "اللـب" يتقافـز مـن بـين أسـنانها، وأشـارت بيدهـا إلى إحـدى الغـرف.

وضعـتُ حقيبتـي داخـل الغرفـة المُشـار إليهـا، ودفعنـي الفضول لأن أعـرف مـا يجـري الآن خلـف هـذه الأبـواب المغلقـة. أعـرفُ أنهـا تعشـق أن تبـدو عالِمـة بمـا لا يعرفـه غيرهـا، يتعـثر لسـانها مـن سرعـة الـكلام، حـين يـدب حـماس "المنظـرة" في دمائهـا الزرقـاء، وتـرى الانبهـار بمـا تقـول في عيـون النـاس، وكلـما تفنجلـت العيـون أكـثر وزاد الانبهـار، استرسـلت في الحديـث وزادت وفاضـت.

دخلـتُ المطبـخ الثانـوي الصغـير القابـع بـين الغُـرف، وتفننـتُ في صناعـة فنجـان قهـوة مركـز، عـلى الطريقـة التـي تحبهـا وتشربهـا بإدمـان. جلسـتُ إلى جوارهـا وسـألتُها:

- طبعًا أستاذ إسماعيل والزملاء عندهم اجتماع مش كده؟

- مبقـاش إلا المسـتجدين كـمان! والنبـي متعملـش نفسـك عـارف أي حاجـة عشـان انـت فعـلًا متعرفـش حاجـة. مـش معنـى إنـك دخلـت هنـا إنـك فاهـم ولا حتـى بتفهـم.

- أومـال يعنـي انتـي الـلي فاهمـة ولا عارفـة حاجـة؟ بطـلي غـرور عـلى الفـاضي بقـى وانتـي آخـر واحـدة بتفهـم أي حاجـة حواليهـا.

لمعـت عيناهـا تلـك اللمعـة التـي أحفظهـا، وأعـرف أنهـا بدايـة لمحـاضرة طويلـة. وَضَعَـتْ رِجلهـا "المعصعصـة" فـوق الأخـرى وأسـندت ظهرهـا إلى الكنبـة، وأمسـكت فنجـان القهـوة الـذي

t.me/qurssan

صنعتُـه لهـا، قرَّبتـه مـن أنفهـا لتتأكـد مـن تركيـز الـبُن بـه، ثـم رشـفت منـه الرشـفة الأولى، التـي يبـدأ معهـا الحديـث.

إذًا، هـذا هـو سـبب الغيـوم التـي تعلـو المـكان. فتَّشَـتْ سـميرة غـرف المجموعـة كلهـا. كل هــؤلاء يكتبــون مذكراتهــم! وكنــتُ أظـن أننـي وحـدي أفعلهـا. كل هـؤلاء لديهـم أوامـر بـألا يسـجلوا تدريباتهـم بـأي شـكل، وكلهـم عصـوا الأوامـر! مـاذا لـو علـم إسـماعيل أن العضـو الجديـد أيضًـا يكتـب مذكراتـه! هـل هـي "شـوطة" أو "موضـة" تـسري في جيـل بعينـه ومارسـتُها أنـا بتلقائيـة؟ مارسـناها كلنـا دون اتفـاق مسـبق، أم هـو سـلوك دفاعـي تفريغـي يتبعـه كل مـن يقـع تحـت ضغـط؟ يكتـب مشـاعره ومـا يمـر بـه، كي يسـاعده ذلـك عـلى تفريغـه مـن العقـل ثـم النسـيان، وربمـا يريـد أيضًـا أن يسـجله عـلى الأوراق حتـى يعـود إليهـا كلـما أظلمـت الذاكـرة، فـلا ينـسى خيانـة الجبنـاء أبـدًا؟ مـن يريـد النسـيان يكتـب، ومـن يريـد التذكُّـر يكتـب! حقيقـة سـاخرة.

لا أعـرف أيـن سـأخفي هـذه الأچنـدة إن كانـت سـميرة لهـا كل السـلطات في هـذا المـكان، سـميرة لديهـا أوامر بـأن تمشِّـط الدواليب والحقائـب والمكاتـب دوريًـا، حتـى لا يبـدأ أحدهـم في متابعـة الكتابـة مـن جديـد. سـتجد لذتهـا في أن تقلـب الغـرف رأسًـا عـلى عقـب وتسـتبيح مـا بداخلهـا. إن كانـت تسـتبيح الأشـخاص، أفـلا تسـتبيح الأشـياء، والكلـمات، والأسرار؟ وأنـا عـلى عكـس الآخريـن، سـأدعها تقـرأ هـذه الفصـول، سـأعطيها لهـا بنفـسي، ولكـن بعـد أن أنهـي اتفاقـي مـع محجـوب، بعـد أن نقـول لإسـماعيل أمـام المجموعـة كلهـا إنـه كاذب ونصَّـاب.

سأجعلك ترين نفسك بعيوني يا سميرة، ترين كيف كنا نعيش أنا وأمك وابنتك خلف زجاج المرآة، التي لا ترين فيها إلا صورتك وحدها. كان الزجاج شفافًا ويمكن لعينيك أن تكونا ثاقبتين وتنظرا إلى ما خلف الزجاج، لكنك ترقبين كالصقر وقتما تريدين، وتتعامين كالخفافيش وقتما تريدين.

أوشكت ليلتي الأولى في الفيلا على الانتهاء، لا يقطع صمت الليل سوى صرصور الحقل وصوت كروان، لا أعرف كيف شعر بالأمان بالقرب من كهف الخفافيش هذا، إلى درجة أن وقف واطمأن وغرَّد. دخان سجائري يكوِّن أشكالًا مخيفة أمام ضوء الأباچورة. أعجبتني اللعبة، ذكَّرتني بـ نور وكيف قضت ليلتها في بيت عمتها. نور لم تبتعد عني أبدًا، مذ كانت تمص إصبع يدها، وتمشي خطوتين ثم تنكبُّ على مؤخرتها ضاحكة.

يتسلل النعاس إلى عيني، وصور نور منذ كانت رضيعة لا تغادر خيالي. سآتي لرؤيتك في الصباح يا نور، لن يمر يوم من عمري وعمرك دون أن نلتقي فيه يا حبيبتي. سنلتقي يا نور ما دام في العمر بقية...

t.me/qurssan

جمال برينط

لا تحمل الصفحات الأخيرة من الأچندات أي دليل على أي شيء، فقط مزيدًا من الارتباك والحيرة، مزيدًا من الزوايا المختلفة للأمور، ومزيدًا من الحقائق المؤلمة والآمال المبنية على مزيد من الوقت والعُمر. هل فاجأهم الموت فأبطل خططهم جميعًا، وخطف منهم إسماعيل؟ هل قاتل إسماعيل شخصٌ من خارج المجموعة؟ كيف دخل هذا الغريب إلى هنا؟ أم أنه أحد أفراد "أ" وكتب صفحته الأخيرة بلا أي دليل، كي لا يترك خلفه شيئًا.

إلى متى سأظل مشغولًا بإسماعيل وماذا يقول وماذا يفعل؟ ضاع عمري بجوارك يا إسماعيل، وأنا أصنعك أنت، وأسجل في ذاكرتي مواقفك أنت، وذكرياتك أنت، وتدريباتك واهتماماتك ومشاكلك، وما يسرُّك وما يضيرك.

ماذا عني أنا الآن؟

هل عشتُ دهرًا كاملًا مخدوعًا؟ هل قضيت عُمري بحثًا عن سراب وفي خدمة شبح؟ هل ضاعت سنواتي في سبيل اللاشيء؟ هل أقتله الآن مرة أخرى، أم أعتذر له عن أني صدَّقت كل هذا الهراء المكتوب هنا عن صديق عمري وعِشرة طفولتي؟ أيًّا ما كان ما سأصل إليه، لا بد أن أبدأ الآن بخطوة واحدة فقط: ماذا سأفعل في هذه الجثة الراقدة على بُعد أمتار؟ ثم ماذا سأفعل في هذه الأوراق المكتوبة بخط أصحابها؟ لماذا لم يبحثوا عنها ولم يأخذوها معهم!؟

أشد ما يكره إسماعيل أن يسمع أصوات التلفزيون عالية، أو أن يرى أحد الأفراد يفتح جهاز التكييف على درجة حرارة شديدة البرودة، حتى وإن كانت هذه هي رغبة صاحب الغرفة. لم أرَ انتقامًا أشد من هذا؛ أغلقتُ جميع نوافذ الڤيلا وبلكوناتها، شغَّلتُ جميع التلفزيونات بصوت مرتفع، والتكييفات بأعلى طاقة تبريد لديها. وأشعلت البخور في كل غرفة بالڤيلا، وأغلقتُ الباب خلفي إلى غير نظرة إلى الوراء.

لعدة ساعات لم أتمالك نفسي من الضحك، جلستُ على ركبتي وأنا أضحك، حتى ارتميتُ على وجهي. أخذتُ الأچندات كلها إلى قطعة أرض فضاء قريبة من الڤيلا وأشعلت فيها النار. كلما ارتفعت الألسنة وتوهَّجت ازددتُ ضحكًا. وقفتُ إلى جوار النار وخلعتُ ملابسي إلا قطعة واحدة سترتني، فعلتُ كما "الهنود الحمر" في الأفلام القديمة، أدور حول النار وصوت ضحكاتي يرنُّ إلى السماء. وضعت يدي على فمي في

t.me/qurssan

حـركات سريعـة متقطعـة، لأصـدر ذلـك الصـوت المضحـك أيضًـا واواواواواوا. رأيـتُ الأسـماء تحـترق. عـينُ عـلي احترقـت وميـم باسـم وواو محجـوب ويـاء سـميرة وحـاء حبيبـة ونـون ناديـا ودال سـيد وسـين سـامية... المجموعـة كلهـا احترقـت.

النـار لـن تبقـي شـيئًا، وأنـا أدور. لـن يكـون لهـذه المجموعـة أثـرٌ بعـد الآن، وأنـا أضحـك وأدور. لـن تصبـح "أ" مجموعـة يخلدهـا التاريـخ، كـما كانـت تظـن، ولـن يسـمع بهـا لا قـاصٍ ولا دانٍ، فالنـار لـن تبقـي ولـن تـذر، وأنـا أضحـك وأقـول واواواوا... وأدور...

نبذة عن الكاتبة

هبة أحمد حسب

كاتبة صحفية وقاصة. صدر لها مجموعة قصصية بعنوان "جامع البنات". عملت مترجمة ومديرة المكتب الإعلامي بساقية الصاوي، ومحررة بمواقع mbc وThe Cairopost ورصيف22 ونون وغيرها.

t.me/qurssan

إلى متى سأظلُ مشغولاً بإسماعيل وماذا يقول وماذا يفعل؟ ضاع عمري بجوارك يا إسماعيل وأنا أصنعك أنت وأسجل في ذاكرتي مواقفك أنت وذكرياتك أنت وتدريباتك واهتماماتك ومشاكلك وما يسرُّك وما يضيرك.. بالطبع لا أستطيع أن أحمل رجلاً يزيد عن 95 كيلو، لا سيّما رجلاً مقتولاً. أحضرت طبق الماء والصابون إلى الغرفة وأمسكت بالمقص وأصابعي تهتز داخل فتحتيه، ثم شققت الجلباب حول السكين كي لا أضطر إلى إخراجه من الجسد حتى أتصل بالشرطة. كيف لم ألحظ يومًا أن كفوف يديه وقدميه ضخمة إلى هذه الدرجة! وأن رأسه كبير كرأس ثور وشفتيه متدليتين ككلب بيتبول. غسلتُ الجسد كاملاً من لزوجة الدماء وعطّرته بالمسك كما كان يفعل بعد الحمام، وألبسته جلبابًا نظيفًا. رائحة البخور في الغرفة تطغى على رائحة القاتل، فلا أستطيع أن أتتبع رائحة بعينها. أنا أعرفهم جميعًا وأميّز روائحهم، رائحة عرق كل منهم ورائحة عطره المحبب وعطره غير المحبب، بل ونوع البخور المفضل لديه. والغريب أن هذا البخور المشتعل في الغرفة هو المفضل لإسماعيل نفسه. هل يكون أشعله قبل أن ينقض عليه القاتل؟

استمتعت بقراءة هذه الرواية وبناء شخصياتها المحكم بأسلوب يفيض رقة وينساب عذوبة وتحليلاً لأدق تفاصيل الشخصيات متشابكة لتصنع في النهاية أقدارها.

مع أطيب أمنياتي بدوام إبداعات ابنتنا هبه أحمد حسب

ح

عبدالرحمن أبوزهره

ISBN 978-977-313-752-6
9 789773 137526

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات